

و يليه

الفرق بين كلام النبي و قول الوصي

تأليف

جمال الدّين أبي منصور الحسن بن يوسف
ابن علي بن المطهّر المشهور بالعلاّمة الحلّي

تحقيق

السيّد محمّد الحسيني
النيسابوري

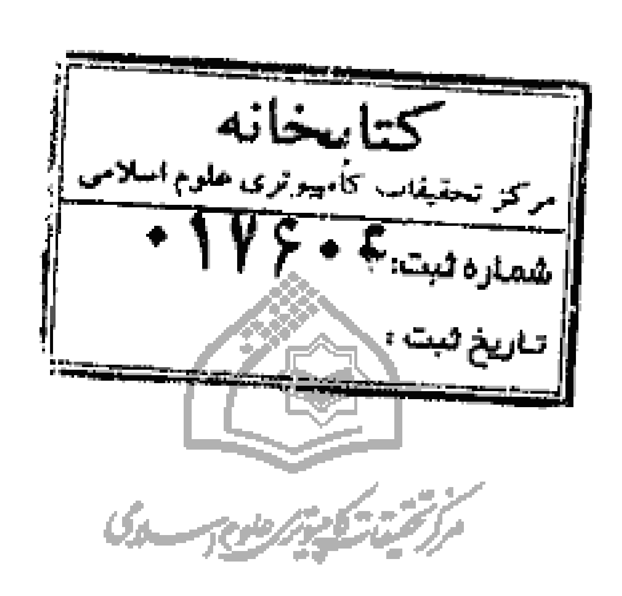
أستقصاء النّظر
في القضاء و القدر

تأليف

جمال الدّين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي
بن المطهّر الحلّي المشهور بالعلاّمة الحلّي
المتوفّى ٧٢٦ هـ

تحقيق

السيّد محمّد الحسيني النيسابوري



□ الكتاب .... استقصاء النّظر في القضاء و القدر

□ تأليف .... العلّامة الحلّي رحمه الله

□ تحقيق .... السيّد محمّد الحسيني النيسابوري

□ نشر .... دار أنباء الغيب

□ الطبعة الأُولى .... رمضان المبارك ١٤١٨ ه

□ العدد .... ٣٠٠٠ نسخة

الطبعة : .... مشهد ـ سعيد ٤٤٠٧٥

السعر : .... ٣٠٠ تومان



خلاصة ترجمة المؤلّف

أسمه

هو الشيخ جمال الدّين أبو منصور الحسن بن سديد الدّين يوسف بن زين الدّين علي بن محمّد بن مطهّر الحلّي المعروف بالعلاّمة الحلّي ، و العلاّمة على الإطلاق .

ذكره ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة في باب «الحسن» ، ثمّ في باب «الحسين» و رجّح الثاني ، كما أنّه وصفه بالأسدي المعتزلي أيضاً، و لا يخفى أنّه غلط ، إذ لم يذكره بهذا العنوان و الوصف أحد من أصحابنا الإماميّين ، و بالجملة هو خلاف ذكره نفسه في الخلاصة في باب «الحسن» و أين المعتزلة من الشيعة ؟!

أقول : لا آعتناء إلى ضبط هذا الرّجل أعني ابن حجر ، فإنّه آرتكب مثل هذا التحريف و التصحيف بالنّسبة إلى تراجم أكثر علمائنا الإماميّين إن لم نقل جميعهم، و وجّهت تلبيساته كلمته السخيفة في الشيعة ، و الله أعلم بضمائر النّاس و هو حسبهم .

مولده و وفاته و مدفنه

ذكر رحمه الله في الخلاصة أنّه ولد في ٢٩ شهر رمضان سنة ٦٤٨ . و في الرّياض : إنّه قال في جواب أسئلة السيّد مهناء بن سنان المدني : و أمّا مولد العبد، فالّذي وجدته بخطّ والدي قدس سره ما صورته : ولد ولدي المبارك أبو منصور الحسن بن يوسف بن مطهّر ليلة الجمعة في الثُّلث الأخير من اللّيل ٢٧ رمضان من سنة ٦٤٨ . و آشتباه سبع بتسع كثير .

و توفّي ليلة السبت ٢١ من المحرّم سنة ٧٢٦ ـ كما هو موجود بخطّ الشيخ بهاء الدّين محمد العاملي على هامش نسخة من الخلاصة قابلها على نسخة الشيخ يحيى بن الشيخ فخر الدّين بن العلاّمة ـ عن ٧٨ سنة و أربعة أشهر إلاّ تسعة أيّام . و عن خطّ الشهيد أنّه توفّي يوم السبت ٢١ المحرّم سنة ٧٢٦ .

و لكن عن آبنه فخر المحقّقين أنّه قال : توفّي والدي قدس سره ليلة السبت حادي عشر من المحرّم سنة ٧٢٦ . و كذلك أيضاً في الرياض ، و النقد ، و نظام الأقوال و غيرها ، فلعلّه نشأ من قراءة حادي عشري المحرّم بحادي عشر .

و نشأ قدس سره و توفّي في الحلّة المزيديّة و نقل إلى النّجف الأشرف فدفن في حجرة عن يمين الدّاخل إلى الحضرة الشّريفة من جهة الشمال ، و قبره ظاهر معروف مزور إلى اليوم .

أقوال العلماء فيه

قال معاصره الحسن بن داود في رجاله : الحسن بن يوسف بن مطهّر الحلّي شيخ الطائفة ، علاّمة وقته ، صاحب التحقيق و التدقيق ، كثير التصانيف ،

أنتهت رئاسة الإماميّة إليه في المعقول و المنقول .

و قال السيّد التفريشي في نقد الرّجال بعد ذكر ما قاله آبن داود : و يخطر ببالي أن لا أصفه ، إذ لا يسع كتابي هذا علومه و تصانيفه و فضائله و محامده ، و إنّ كلّ ما يوصف به النّاس من جميل و فضل فهو فوقه .

و في أمل الآمل : فاضل، عالم، علاّمة العلماء، محقّق، مدقّق، ثقة ثقة، فقيه محدّث ، متكلّم ماهر ، جليل القدر ، عظيم الشأن ، رفيع المنزلة ، لا نظير له في الفنون و العلوم العقليّات و النقليّات ، و فضائله و محاسنه أكثر من أن تحصى .

و في رياض العلماء : الإمام الهمام ، العالم العامل ، الفاضل الكامل ، الشاعر الماهر ، علاّمة العلماء ، و فهّامة الفضلاء ، أُستاد الدّنيا ، المعروف فيما بين الأصحاب بالعلاّمة عند الإطلاق ، و الموصوف بغاية العلم ، و نهاية الفهم و الكمال في الآفاق ، و كان آبن اخت المحقّق الحلّي صاحب الشرائع، آية الله لأهل الأرض ، و له حقوق عظيمة على زمرة الإماميّة و الطائفة المحقّة الاثني عشريّة ، لساناً و بياناً و تدريساً و تأليفاً ، و قد كان ﷺ جامعاً لأنواع العلوم ، مصنّفاً في أقسامها ، حكيماً متكلّماً ، فقيهاً محدّثاً ، أُصوليّاً ، أديباً ، شاعراً ، ماهراً ، و قد رأيت بعض أشعاره ببلدة أردبيل و هي تدلّ على جودة طبعه في أنواع النّظم ، و كان وافر التصنيف ، متكاثر التأليف .

و وصفه تلميذه الشيخ محمّد بن علي الجرجاني في مقدّمة شرح مبادىء الوصول إلى علم الأُصول للمؤلّف بقوله : شيخنا المعظّم ، و إمامنا الأعظم ، سيّد فضلاء العصر ، و رئيس علماء الدّهر ، المبرّز في فنّي المعقول و المنقول ، المطرّز للواء علمي الفروع و الأُصول ، جمال الملّة و الدّين ...

و في مجالس المؤمنين للقاضي نور الله التستري ... : حامي بيضة الدّين ،

و ماحي آثار المفسدين ، ناشر ناموس الهداية ، و كاسر ناقوس الغواية ، متمّم القوانين العقليّة ، و حاوي أساليب الفنون النّقليّة ، محيط دائرة الدّرس و الفتوى، مركز دائرة الشّرع و التّقوى ، مجدّد مآثر الشّريعة المصطفويّة ، و محدّد جهات الطّريقة المرتضويّة .

و قال البحراني : و كان هذا الشيخ وحيد عصره ، و فريد دهره ، آلّذي لم تكتحل حدقة الزّمان له بمثيل و لا نظير . و عن بعض تلاميذ الشّهيد : هو فريد العصر و نادرة الدّهر .

و قال آبن حجر العسقلاني : ... و لازم نصير الدّين الطّوسي مدّة ، و آشتغل في العلوم العقليّة فمهر فيها ، و صنّف في الأُصول و الحكمة ، و كان صاحب أموال و غلمان و حفدة ، و كان رأس الشيعة بالحلّة ، و آشتهرت تصانيفه ، و تخرّج به جماعة ، و شرحُه على مختصر آبن الحاجب في غاية الحسن في حلّ ألفاظه و تقريب معانيه ، و صنّف في فقه الإماميّة و كان قيّماً في ذلك ، داعية إليه، الخ .

و قال أيضاً في لسان الميزان : عالم الشيعة و إمامهم و مصنّفهم ، و كان آية في الذكاء ، شرح مختصر آبن الحاجب شرحاً جيّداً ، سهل المأخذ ، غاية في الإيضاح ، و آشتهرت تصانيفه في حياته ، و هو آلّذي ردّ عليه الشيخ تقيّ الدّين آبن تيميّة في كتابه المعروف بالرّد على الرّافضي ، و كان آبن المطهّر مشتهر الذّكر ، حسن الأخلاق ، و لمّا بلغه بعض كتاب آبن تيميّة قال : لو كان يفهم ما أقول أجبته .

و قال السيّد الأمين : و هو العلاّمة على الإطلاق آلّذي طار صيته في الآفاق ، و لم يتّفق لأحد من علماء الإماميّة أن لُقّب بالعلاّمة على الإطلاق

غيره، برع في المعقول و المنقول ، و تقدّم و هو في عصر الصبا على العـلماء الفحول ، و قال هو قدس سره في خطبة كتابه « منتهى المطلب » : إنّه فرغ من تصنيفاته الحكميّة و الكلاميّة و أخذ في تحرير الفقه من قبل أن يكمل له ٢٦ سنة ... و لمّا طلب السّلطان خدابنده عالماً من العراق من علماء الإماميّة ليسأله عن مشكل وقع فيه ، وقع الاختيار على العلاّمة الحلّي قدس سره لما دلّ على تفرّده في عصره في علم الكلام و المناظرة ، فذهب و كانت له الغلبة على علماء مجلس السّلطان ... و بالجملة فالعبارة تقتصر عن آستيفاء حقّ العـلاّمة الحـلّي قدس سره و آسـتقصاء وصف فضله ، فلنكتف بهذا المقدار .

أخباره مع السّلطان اولجايتو

ذكر المجلسي الكبير في روضة المتّقين : إنّ السّلطان اولجـايتو مـحمّد المغولي الملقّب بشاه خدابندة غضب على إحدى زوجاته ، فقال لها أنت طالق ثلاثاً ثمّ ندم ، فسأل العلماء فقالوا : لابدّ من المحلّل ، فقال : لكم في كلّ مسألة أقوال ، فهل يوجد هنا آختلاف ؟ فقالوا : لا ، فقال أحد وزرائه[1] : في الحلّة عالم يفتي ببطلان هذا الطّلاق ، فقال العلماء : إنّ مذهبه بـاطل ، و لا عـقل له و لا لأصحابه ، و لا يليق بالملك أن يبعث إلى مثله ، فقال الملك : آمهلوا حتّى يحضر و نرى كلامه ، فبعث فأحضر العلاّمة الحلّي ، فلمّا حضر ، جمع له الملك جميع علماء المذاهب ، فلمّا دخل على الملك أخذ نعله بيده و دخل و سلّم و جلس إلى جانب الملك ، فقالوا للملك : أ لم نقل لك أنّهم ضعفاء العقول ؟ فقال : آسألوه

(١) على آحتمال قوي كان هو خواجه رشيد الدّين الشهيد ، سيأتي ترجمته .

عن كلّ ما فعل ، فقالوا : لما ذا لم تخضع للملك بهيئة الرّكوع ؟ فقال : لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن يركع له أحد و كان يسلّم عليه ، و قال الله تعالى : ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِندِ اللهِ مُبَارَكَةً﴾ (1) و لا يجوز الرّكوع و السّجود لغير الله ، قالوا: فلِمَ جلست بجنب الملك ؟ قال : لأنّه لم يكن مكاناً خالٍ غيره ، قالوا : فلِمَ أخذت نعليك بيدك و هو منافٍ للأدب ؟ قال : خفت أن يسرقه بعض أهل المذاهب كما سرقوا نعل رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا : إنّ أهل المذاهب لم يكونوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بل ولدوا بعد المائة فما فوق من وفاته صلى الله عليه وآله ـ كلّ هذا و الترجمان يترجم للملك كلّما يقوله العلاّمة ـ فقال للملك : قد سمعت آعترافهم هذا ؟ فمن أين حصروا الاجتهاد فيهم و لم يجوّزوا الأخذ من غيرهم و لو فرض انّه أعلم ؟!

فقال الملك : ألم يكن أحد من أصحاب المذاهب في زمن النّبي صلى الله عليه وآله و لا الصحابة ؟ قالوا : لا ، قال العلاّمة : و نحن نأخذ مذهبنا عن علي بن أبي طالب نفس رسول الله صلى الله عليه وآله و أخيه و آبن عمّه و وصيّه ، و عن أولاده من بعده ، فسأله عن الطّلاق ، فقال : باطل ، لعدم وجود الشهود العدول . و جرى البحث بينه و بين العلماء .

و نقل صاحب الروضات القصّة أطول من هذا و قال : ثمّ شرع في البحث مع العلماء حتّى ألزمهم جميعاً ، فتشيّع الملك و بعث إلى البلاد و الأقاليم حتّى يخطبوا بالأئمّة الاثني عشر عليهم السلام و يضربوا السكك على أسمائهم و ينقشوها على أطراف المساجد و المشاهد منهم ، ثمّ إنّ العلاّمة أخذ من بعد ذلك بمعونة

---

(1) سورة النّور (٢٤) : ٦١.

هذا السلطان المستبصر الرؤوف في تشييد أساس الحقّ و ترويج المذهب ، و كتب باسم السلطان الموصوف كتابه المسمّى بـ«منهاج الكرامة» في الإمامة و كتاب «اليقين» و غيرهما ، و بلغ أيضاً من المنزلة و القرب لديه بما لامزيد عليه و فاق في ذلك على سائر علماء حضرة السلطان المذكور مثل القاضي ناصر الدين البيضاوي و القاضي عضد الدين الإيجي و محمد بن محمود الآملي و الشيخ عبدالملك المراغي و المولى بدر الدين الشوشتري و غيرهم[١].

أقول : و يؤيّد ماذكرنا ما قال ابن حجر العسقلاني المتعصّب ضدّ الشيعة في الدرر الكامنة ، فإنّه قال في ترجمة السلطان المذكور : و كان حسن الإسلام لكن لعبت بعقله الإماميّة فترفض و أسقط من الخطبة في بلادنا ذكر الأئمّة إلاّ عليّاً و كان جواداً سمحاً[٢].

و قال السيّد الخوانساري : حتّى أنّ في بعض تواريخ العامّة رأيت التعبير عن هذه الحكاية بمثل هذه الصورة : و من سوانح سنة سبع و سبعمائة إظهار خدابنده شعار التشيّع بإظلال ابن المطهّر ، و أنت خبير بأنّ مثل هذا الكلام المنطوق صدر من أيّ قلب محروق و الحمد لله[٣].

مشايخه في الرواية و القراءة

و قرأ هو رحمه الله على جمّ غفير من علماء عصره من العامّة و الخاصّة نشير إلى بعضهم ، فمنهم :

١ـ والده المرحوم سديد الدّين يوسف ، و يروي عنه أجازة .

---

(١) روضات الجنّات ٢ : ٢٨١ .
(٢) الدرر الكامنة ٣ : ٤٦٨ .
(٣) روضات الجنّات ٢ : ٢٨١ .

٢ـ خاله المحقّق الحلّي صاحب الشّرائع .

٣ـ المحقّق الطوسي الخواجه نصير الدّين في العقليّات و الرّياضيّات و نحوها .

٤ـ كمال الدّين ميثم البحراني ، شارح نهج البلاغة ، و يروي عنه .

٥ـ السيّد جمال الدّين أحمد بن طاووس الحسيني صاحب كتابي البشرى و الملاذ و غيرهما .

٦ـ أخوه السيّد رضيّ الدّين علي بن طاووس ، و جماعة أُخرى .

و يروي ﷺ عن خلق كثير منهم :

٧ـ الشيخ محمّد بن نما ، على ما قاله القطيفي ، قال صاحب الرّياض : لكن عندي في ذلك نظر .

٨ـ الشيخ مفيد الدّين محمّد بن علي بن الجهم الحلّي الأسدي .

٩ـ السيّد أحمد العريضي ، قال صاحب الرّياض : و فيه كلام سبق .

١٠ـ نجيب الدّين يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلّي ابن عمّ المحقّق ، المعروف بيحيى بن سعيد صاحب الجامع .

١١ـ حسن بن علي بن سليمان البحراني الستروي ، و في اللؤلؤة و أنوار البدرين : حسين بن علي .

هؤلاء مشايخه من الشيعة ، و أمّا من غيرهم ، فيروي عن :

١٢ـ نجم الدّين عمر بن علي الكاتبي القزويني الشافعي صاحب كتاب الشّمسيّة في المنطق .

١٣ـ محمّد بن محمّد بن أحمد الكيشي المتكلّم الفقيه ، ابن أُخت قطب الدّين محمّد الشيرازي .

١٤ـ الشيخ برهان الدّين النّسفي المصنّف في الجدل و غيره كثيراً .

١٥ـ الشيخ جمال الدّين حسين بن أبان النّحوي المصنّف في الأدب .

١٦ـ الشيخ عزّ الدّين الفاروقي الواسطي من فقهاء العامّة .

١٧ـ الشيخ تقيّ الدّين عبدالله بن جعفر بن علي بن الصبّاغ الحنفي الكوفي.

١٨ـ السيّد شمس الدّين عبدالله البخاري ، روى عنه صحاحهم .

١٩ـ الشيخ جمال الدّين محمّد البلخي .

تلاميذه في الرّواية و القراءة

١ـ السيّد مهنا بن سنان المدني ، و تاريخ الإجازة في المحرّم سنة ٧٠٢ بالحلّة ، كما في رياض العلماء .

٢ـ ولده فخر المحقّقين محمّد ، قرأ عليه و يروي عنه إجازة .

٣ و ٤ـ ابنا أُخته السيّد عميد الدّين ، و السيّد ضياء الدّين عبدالله الأعرجيّان الحسينيان ، قرآ عليه و يرويان عنه إجازة .

٥ـ السيّد الجليل أحمد بن إبراهيم بن محمّد بن الحسن بن زهرة الحلبي.

٦ـ قطب الدّين الرّازي ، شارح الشّمسيّة و المطالع .

٧ـ الشيخ رضيّ الدّين أبو الحسن علي بن أحمد بن طراد المطارآبادي .

٩ـ السيّد تاج الدّين محمّد بن القاسم بن معية الحسني الحلّي .

١٠ـ السيّد تاج الدّين حسن السرابشنوي .

١١ـ الشيخ محمّد بن علي الجرجاني ، شارح المبادي لشيخه ، قرأ عليه ، و يروي عنه إجازة .

١٢ـ الشيخ تقيّ الدّين إبراهيم بن الحسين بن علي الآمـلي ، و تـاريخ الإجازة سنة ٧٠٩، كما في الرياض .

تأليفاته

و ذكر تأليفاته في كتابه : الخلاصة ، و إجازته للسيّد مهناء بن سنان المدني غير مستوفاة ، بل ذكر فيه ٦٧ كتاباً غير الخلاصة ، و قريباً منه في الإجازة .

قال الطّريحي في مجمع البحرين عن بعض الأفاضل : إنّه وجـد بـخطّه خمسمائة مجلّد من مصنّفاته سوى خطّ غيره من تصنيفاته .

و في الروضات عن كتاب روضة العابدين ، عن بعض شارحي التجريد : إنّ للعلاّمة نحواً من ألف مصنّف كتب تحقيق ، و كان لايكتفي بمصنّف واحد في فنّ من الفنون ... الخ .

و في الرّياض : قد اشتهر أنّ مؤلّفات العلاّمة بلغت في الكثرة إلى حدّ لو قسمت على أيّام عمره لكان لكلّ يوم ألف بيت ، أي ألف سطر كلّ سطر خمسون حرفاً ، قال : و ممّن صرّح بذلك الشيخ محمّد بن خاتون العاملي في أوّل شرح أربعين الشيخ البهائي ، ثمّ قال : هذا قول من لا دراية له في تعداد مؤلّفاته ، فإنّها لو حسبت مع المسامحة و عدم التدقيق و قسمت على مقدار عمره مـن يـوم بلوغه الحلم لما كان لكلّ يوم أكثر من مائتي بيت فالقول المـذكور إغـراق و خرافة .

و في اللؤلؤة : لقد قيل إنّه وزّع تصنيف العلاّمة على أيّام عمره من ولادته إلى موته فكان قسط كلّ يوم كرّاساً مع ما كان عليه من الاشتغال بـالإفادة و الاستفادة و التدريس و الأسفار و الحضور عـند المـلوك و المـباحثات مـع

الجمهور ، و نحو ذلك من الأشغال ، و هذا هو العجب العجاب آلّذي لا شكّ فيه و لا آرتياب . و قيل قريب من ذاك في حقّ العلاّمة المجلسي ﷺ .

و على كلّ حال كان هو ﷺ من آلّذين رزقوا أعماراً مباركة مصروفة في أعتلاء كلمة التوحيد تحت لواء الولاية ، فأكثر في التصنيف و التأليف بالغاً الغاية في شتّى العلوم نشير إلى أساميها .

فمنها في الفقه :

١ـ منتهى المطلب في تحقيق المذهب .

٢ـ تلخيص المرام في معرفة الأحكام .

٣ـ غاية الأحكام في تصحيح تلخيص المرام ، و هو شرح على تلخيص المرام .

٤ـ حاشية التلخيص .

٥ـ تحرير الأحكام الشرعيّة على مذهب الإماميّة .

٦ـ مختلف الشيعة في أحكام الشريعة .

٧ـ تبصرة المتعلّمين في أحكام الدّين .

٨ـ تذكرة الفقهاء .

٩ـ إرشاد الأذهان إلى أحكام الايمان ، ذكر صاحب الذريعة له ٣٨ شرحاً و حاشية .

١٠ـ تسليك الأفهام في معرفة الأحكام .

١١ـ تسبيل الأذهان إلى أحكام الايمان .

١٢ـ مدارك الأحكام .

١٣ـ قواعد الأحكام في معرفة الحلال و الحرام ، مسائله ٦٦٠٠ مسألة .

١٤ـ نهاية الإحكام في معرفة الأحكام .

١٥ـ تهذيب النفس في معرفة مذاهب الخمس .

١٦ـ تنقيح قواعد الدّين المأخوذة عن آل ياسين .

١٧ـ المنهاج في مناسك الحاجّ .

١٨ـ رسالة في واجبات الحجّ و أركانه .

١٩ـ المعتمد في الفقه .

٢٠ـ رسالة في واجبات الوضوء و الصّلاة ، ألّفها باسم الوزير ترمتاش .

و في الأصول :

٢١ـ النّكت البديعة في تحرير الذّريعة للسيّد المرتضى .

٢٢ـ غاية الوصول و إيضاح السّبل في شرح مختصر منتهى الوصول (السئول) و الأمل في علمي الأصول و الجدل لابن الحاجب .

٢٣ـ مبادىء الوصول إلى علم الأصول .

٢٤ـ نهج الوصول إلى علم الأصول .

٢٥ـ نهاية الوصول إلى علم الأصول .

٢٦ـ تهذيب طريق الوصل إلى علم الأصول ، كما في كشف الظنون ، له شروح و حواشي كثيرة جدّاً .

٢٧ـ منتهى الوصول إلى علمي الكلام و الأصول .

و في الكلام و أصول الدّين و الاحتجاج و الجدل :

٢٨ـ نظم البراهين في أصول الدّين .

٢٩ـ معارج الفهم في شرح النظم في الكلام .

٣٠ـ الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة في الكلام ، له شرح لملاّهادي

السبزواري . و غيره .

٣١ـ نهاية المرام في علم الكلام .

٣٢ـ كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد في الكلام .

٣٣ـ مناهج أو منهاج اليقين في اُصول الدّين .

٣٤ـ تسليك النّفس إلى حضرة القدس في الكلام .

٣٥ـ نهج المسترشدين في اُصول الدّين .

٣٦ـ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد لنصير الدّين الطوسي ، و له شرح منطقه خاصّة أيضاً سمّاه الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد .

٣٧ـ أنوار الملكوت في شرح الياقوت لإبراهيم النّوبختي في الكلام .

٣٨ـ مقصد أو مقاصد الواصلين في معرفة اُصول الدّين .

٣٩ـ منهاج الهداية و معراج الدّراية في الكلام .

٤٠ـ كشف الحقّ و نهج الصّدق .

٤١ـ النّهج الحق . و يمكن أن يكون هو قبله .

٤٢ـ الهادي .

٤٣ـ واجب الاعتقاد في الاُصول و الفروع ، شرحه المقداد السيوري و غيره .

٤٤ـ تحصيل السداد في شرح واجب الاعتقاد .

٤٥ـ منهاج أو تاج الكرامة في إثبات الإمامة .

٤٦ـ كتاب الألفين الفارق بين الصدق و المين . قال السيّد الخوانساري : و من جميل ما حكته الثقات أنّه روُي من بعد وفاته في بعض منامات الصالحين و كأنّه ولده النبيل الكامل فخر المحقّقين ، فسئل عمّا عومل به في تلك النشأة ،

فقال: لولا كتاب «الألفين» و زيارة الحسين عليه السلام لأهلكتني الفتاوى[1]

٤٧ـ الرسالة السعديّة في الكلام.

٤٨ـ التناسب بين الأضعريّة و فرق السوفسطائيّة.

٤٩ـ الباب الحادي عشر في أُصول الدّين، ألحقه بمنهاج الصلاح مختصر مصباح المتهجّد للشيخ الطوسي و هو عشرة أبواب.

٥٠ـ أستقصاء النظر في القضاء و القدر، و في الخلاصة: أستقصاء البحث و النظر.

٥١ـ رسالة في خلق الأعمال.

٥٢ـ منهاج السّلامة إلى معراج الكرامة.

٥٣ـ رسالة في تحقيق معنى الايمان و نقل الأقوال فيه.

٥٤ـ أربعون مسألة في أُصول الدّين.

٥٥ـ إيضاح مخالفة السنّة، أوضح فيه مخالفة الأشاعرة لنصّ جميع الآيات، أقول: رأيت نسخة منه في الخزانة الرضويّة.

٥٦ـ رسالة مختصرة في آداب البحث.

٥٧ـ نهج الايمان في تفسير القرآن، ذكر فيه ملخّص الكشّاف و التبيان و غيرهما.

٥٨ـ القول أو السرّ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

٥٩ـ القواعد و المقاصد.

٦٠ـ الأسرار الخفيّة في العلوم العقليّة.

---

(١) روضات الجنّات ٢: ٢٨٢.

٦١ـ كاشف الأستار في شرح كشف الأسرار .

٦٢ـ الدرّ المكنون في علم القانون .

٦٣ـ المباحثات السنيّة و المعارضات النّصيريّة .

المقاومات ، قال : باحثنا فيه الحكماء السابقين و هو يتمّ مع تمام عمرنا .

٦٥ـ حلّ المشكلات من كتاب التلويحات .

٦٦ـ إيضاح التلبيس من كلام الرئيس ، و في الإجازة : كشف التلبيس و بيان سهو الرئيس .

٦٧ـ مراصد التدقيق و مقاصد التحقيق .

٦٨ـ المحاكمات بين شرّاح الإشارات .

٦٩ـ كشف الخفاء من كتاب الشفاء .

٧٠ـ القواعد الجليّة في شرح الرسالة الشمسيّة .

٧١ـ الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد .

٧٢ـ نهج العرفان في علم الميزان .

٧٣ـ إيضاح المقاصد من حكمة عين القواعد للكاتبي .

٧٤ـ تحرير الأبحاث في معرفة العلوم الثلاث: المنطق و الطبيعي و الإلهي.

٧٥ـ بسط الإشارات .

٧٦ـ تحصيل الملخّص ، كأنّه شرح ملخّص فخر الدّين الرّازي .

٧٧ـ الاشارات إلى معاني الإشارات .

٧٨ـ لبّ الحكمة .

٧٩ـ النّور المشرق في علم المنطق .

٨٠ـ إيضاح المعضلات من شرح الإشارات للنصير الطّوسي .

٨١ـ التعليم الثاني العام .

٨٢ـ كشف المشكلات من كتاب التلويحات ، و لعلّه حلّ المشكلات المذكور سابقاً .

٨٣ـ شرح حكمة الإشراق .

و في الحديث :

٨٤ـ آستقصاء الاعتبار في تحرير معاني الأخبار .

٨٥ـ مصابيح الأنوار ، قال : ذكرنا فيه كلّ أحاديث علمائنا .

٨٦ـ الدرّ و المرجان في الأحاديث الصحاح و الحسان .

٨٧ـ النهج الوضاح في الأحاديث الصحاح .

٨٨ـ جامع أو مجامع الأخبار .

و في الرجال :

٨٩ـ خلاصة الأقوال في معرفة الرّجال ، آقتصر غالباً على ما في فهرست الشيخ و رجال النجاشي .

٩٠ـ كشف المقال في معرفة الرجال .

٩١ـ إيضاح الإشتباه في أسماء الرواة .

٩٢ـ تلخيص الفهرست للطوسي .

و في الأدعية :

٩٣ـ الأدعية الفاخرة المنقولة عن الأئمّة الطاهرة .

٩٤ـ منهاج الصلاح في آختصار المصباح للشيخ الطوسي .

و في النّحو :

٩٥ـ كشف المكنون من كتاب القانون ، و هو آختصار شرح الجزولية في

النحو .

٩٦ـ بسط الكافية ، و هو آختصار شرح الكافية .

٩٧ـ المقاصد الوافية بفوائد القانون و الكافية .

٩٨ـ المطالب العليّة في علم العربيّة .

و في جوابات المسائل :

٩٩ـ جوابات مسائل مهناء بن سنان المدني الأوّل .

١٠٠ـ جوابات مسائله الثانية .

١٠١ـ رسالة مختصرة في جواب السّلطان محمّد خدابنده عن حكمة النّسخ في الأحكام الشّرعيّة .

١٠٢ـ رسالة في جواب سؤالين سئل عنهما الخواجه رشيد الدّين فضل الله الطبيب الهمداني وزير غازان خان و الجايتو محمّد خدابنده ، رأيته في مخطوطات جامع گوهرشاد و قمت بتحقيقه .

و في الفضائل :

١٠٣ـ كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام .

١٠٤ـ جواهر المطالب في فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام .

و له أيضاً :

١٠٥ـ مختصر شرح نهج البلاغة .

١٠٦ـ شرح الكلمات الخمس لأمير المؤمنين عليه السلام في جواب كميل بن زياد .

و له إجازات كثيرة ، منها : إجازة طويلة مبسوطة لبني زهرة ، و منها : إجازة للسيّد مهناء بن سنان ، و غيرهما .

و عدّ الشيخ آقابزرگ الطهراني له أيضاً :

١٠٧ـ إثبات الرجعة .

١٠٨ـ كتاب السلطان .

١٠٩ـ مرثية الحسين عليه السلام .

١١٠ـ شرح حديث القدسي .

١١١ـ المناهج السويّه في الكلام .

١١٢ـ الخلاصة في أُصول الدّين .

كتب منسوبة إليه و أمرها مشتبه :

١١٣ـ الكشكول فيما جرى على آل الرسول .

١١٤ـ الأسرار في إمامة الأئمة الأطهار .

١١٥ـ رسائل الدلائل البرهانيّة في تصحيح الحضرة الغرويّة .

من وصيّته لولده

...و عليك بتعظيم الفقهاء و تكرمة العلماء ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال : «من أكرم فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة و هو عنه راض ، و من أهان فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة و هو عليه غضبان»[١] . و جعل النّظر إلى وجه العالم عبادة[٢] . و النظر إلى باب العالم عبادة ، و مجالسة العالم عبادة[٣] .

و عليك بكثرة الاجتهاد في آزدياد العلم و الفقه في الدّين ، فإنّ أمير

---

(١) بحار الأنوار ٢ : ٤٤ . (٢) بحار الأنوار ١ : ١٩٥ .

(٣) بحار الأنوار ١ : ٢٠٤ .

المؤمنين عليه السلام قال لولده : تفقّه في الدّين ، فإنّ الفقهاء ورثة الأنبياء[١] . و إنّ طالب العلم ليستغفر له من في السّماوات و من في الأرض حتّى الطّير في الهواء و الحوت في البحر ، و إنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به[٢] .

و إيّاك و كتمان العلم و منعه عن المستحقّين لبذله ، فإنّ الله تعالى يقول : ﴿ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أنزلنا مِنَ البَيِّنَاتِ وَ الهُدىٰ مِن بَعدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتابِ أُولئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَ يَلعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ﴾[٣] .

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله : «إذا ظهرت البدع في أُمّتي ، فليظهر العالم علمه ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله تعالى»[٤] .

و قال عليه السلام : «لاتؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، و لاتمنعوها أهلها فتظلموهم»[٥] .

و عليك بتلاوة الكتاب العزيز ، و التفكّر في معانيه ، و آمتثال أوامره و نواهيه ، و تتبّع الأخبار النبويّة و الآثار المحمّديّة ، و البحث عن معانيها ، و آستقصاء النّظر فيها ... .

هذا الكتاب

قال الشيخ آقا بزرگ الطّهراني : آستقصاء البحث و النّظر في مسائل القضاء و القدر ، عبّر به كذلك في الخلاصة ، و قد يقال له : آستقصاء النّظر . ثمّ قال ثانياً : آستقصاء النظر لآية الله العلاّمة الحلّي ، كما في كشف الحجب ، لكن

---

(١) بحار الأنوار ١ : ٢١٦ .

(٢) بحار الأنوار ١ : ١٦٤ و ١٧٢ .

(٣) سورة البقرة (٢) : ١٥٩ .

(٤) بحار الأنوار ١٠٨ : ١٥ و ١١٨ .

(٥) بحار الأنوار ٢ : ٧٨ .

مرّ آنفاً أنّ آسمه آستقصاء البحث و النظر كما صرّح به في الخلاصة .

أقول : في النسخ المطبوعة الموجودة فعلاً من الخلاصة : آستقصاء النظر في القضاء و القدر ، و في مفتتح النسخ الخطّيّة من الكتاب : آستقصاء النظر في البحث عن القضاء و القدر .

ألّف العلاّمة هذا الكتاب للسّلطان الجايتو محمّد خدابنده لمّا سأله بيان الأدلّة الدالّة على أنّ للعبد آختيار في أفعاله و أنّه غير مجبور عليها ، فبيّن المؤلّف فيه مذاهب الأشاعرة و المعتزلة و الإماميّة ، ثمّ سرد الأباطيل آلّذي يلزم من قول الأشعريّين ، فأجاب عن أهمّ آحتجاجاتهم حلاًّ و نقضاً ، و قال : إنّا نعلم بالضّرورة أنّا فاعلون ، ثمّ أشار إلى ثمانية عشر قسماً من الآيات الدالّة على آستناد الأفعال إلى العباد .

و ألّف بعض علماء السنّة من الهنود كتاباً في ردّ هذا الكتاب ، فسلّط الله تعالى عليه السّيف الصارم السيّد الشهيد نور الله التستري ، فألّف كتابه الموسوم بـ«النور الأنور و النور الأزهر في تنوير خفايا رسالة القضاء و القدر» فزيّف فيه آعتراضات الهندي على العلاّمة الحلّي ، كما سلّطه الله أيضاً على روزبهان آلّذي ألّف كتاباً في ردّ «كشف الحقّ و نهج الصدق» للعلاّمة الحلّي بتأليف كتابه القيّم : «إحقاق الحق و إزهاق الباطل» ردّاً عليه .

النسخ المعتمدة عليها في التحقيق

بحمدالله نسخ الكتاب شائعة فتوجد منها في ايران قريب عشرين نسخة ، و آعتمدنا في تصحيح الكتاب على خمس نسخ خطّيّة ، و نسخة مطبوعة في العراق سابقاً أصفها للقارىء الكريم :

نسخة «ح»

هي نسخة قيّمة مصحّحة ، بخطّ تلميذ المؤلّف حيدر بن علي بن حيدر الآملي وقعت في مجموعة عليها إنهاء فخر المحقّقين ولد العلاّمة بخطّه الشريف آستفدت منها كثيراً فجعلتها أصلاً للعمل ، النسخة موجودة في مكتبة المجلس النيابي بطهران تحت رقم ٤٩٥٣ .

نسخة «ش»

هذه النسخة من مخطوطات جامع گوهرشاد وقعت في مجموعة فيها رسالة أُخرى للعلاّمة المؤلّف مكتوبة في آخرها : بلغ عرضاً و قبالاً بنسخة الأصل آلّتي بخطّ المصنّف دام ظلّه ، فصحّ إلاّ ما زاغ عنه النظر و حسّ عنه البصر و كتبي في شوّال سنة آثني عشرة و سبع مائة ، كذا في المنتسخ ، ابن محمّد إبراهيم خليل الله الحسيني شهر شوّال ١٠٧٧ . أقول : مع ذلك كانت النسخة مغلوطة و فيها سقطات ، فلعلّ الشهادة كانت مختصّة بالرّسالة الثّانية من المجموعة فقط .

نسخة «آ»

و هي نسخة جيّدة الخطّ من مخطوطات مكتبة الإمام الرضا عليه السلام تحت رقم ٣١٤ ، فرغ من كتابتها شاه محمّد بن زين العابدين في عشر الأُولى من جمادى الثانية من شهور سنة ١٠٤٢ .

نسخة «ق»

سقطت خطبة الكتاب من هذه النسخة ، و عليها تملّكات متعدّدة بعد الألف و لايرى فيها آسم الناسخ و تاريخ النسخ ، لكن سنة وقفها يعود إلى ١٠٦٧ ، و هي أيضاً موجودة في مكتبة الرضويّة تحت رقم ٤٥ .

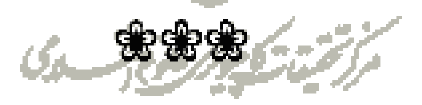
نسخة «ج»

و هي أيضاً من مخطوطات مكتبة المجلس النيابي تحت رقم ٤٩٥٤ كتبها مير جعفر بن عبدالله الحسيني في عام ١٠٦٩، و في هذه المكتبة أيضاً توجد نسخ مخطوطة أُخرى.

نسخة «م».

هي النسخة المطبوعة في سنة ١٣٥٤ بمطبعة الراعي في النجف و فيها سقطات مضرّة و مخلّة بالمراد و لعلّها سقطت عند الطبع نشره علي الخاقاني مع إنقاذ البشر من الجبر و القدر للسيّد المرتضى.

هذا و الحمد لله أوّلاً و آخراً و ظاهراً و باطناً و هو خير موفّق و معين.

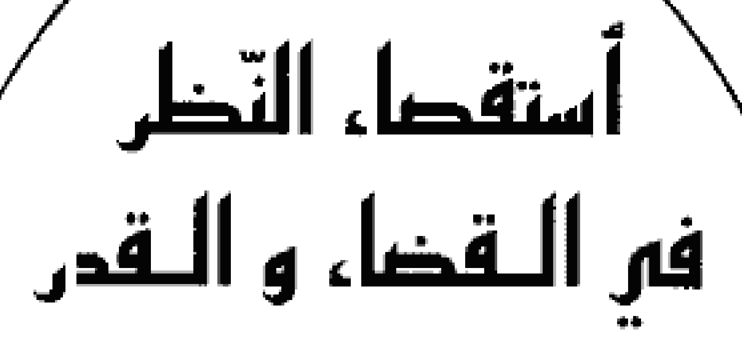


منتصف ليلة ٢٧ من شهر شعبان المعظّم
سنة ١٤١١هـ
السيّد محمّد الحسيني النيشابوري
عفى الله عنه و عن والديه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحكيم الغفار القديم القهار العظيم الستار الذي خلق الانسان وميزه
بالاقتدار وانعم عليه بالتكليف المستند الى الارادة والاختيار ووعده على فعل
الطاعة عقبى الدار وتوعده على المعصية بدخول النار جزاء على اعماله بمقتضى العدل
من غير اكراه ولا ظلم ولا اجبار وصلى الله على سيدنا محمد النبي المختار المبعوث
من آل معد بن نزار وعلى عترته الامجاد الاطهار المعصومين من الخطا والزلل
في الايراد والاصدار صلاة تتضاعف عليهم بتعاقب الاعصار اما بعد فانه
لما كان السلطان الاعظم الحاكم فرمانه على الامم سلطان سلاطين العرب والعجم [illegible]
المعظم غياث الملة والحق والدين اولجايتو خدابنده محمد ما لك [illegible] الارض
ثبت الله ملكه الى يوم النشر والعرض وايده بالالطاف الربانية وامده بالعنايات
الالهية وقرن دولته بالخلود الى يوم الموعود وعلا ان الرقاب خاضعة لعظمته
والقلوب خاشعة لهيبته والدنيا معمورة بدوام دولته والاحكام نافذة على وفق ارادته
والآمال متوجهة نحو كعبته والنصر محفوظا برايته المجيدة وعزته فامده الله بالقوة
القدسية وخصه بالكمالات النفسانية والقريحة الوقادة والفكرة الصحيحة النقادة
وفاق في ذلك على جميع الامم [illegible] والهمه الله تعالى الالتفات
في رعيته والاحسان الى العلماء من اهل مملكته وافاضة الخير والانعام على جميع الانام ودبر
حكمه النافذ في الاقطار والامصار [illegible] الاعصار [illegible] الادلة الدالة على ان
للعبد اختيارا في افعاله وانه غير مجبور عليها فامتثلت في ذلك امره المطاع بالامتثال والاتباع
وسارعت في انشاء هذه الرسالة الموسومة باستقصاء النظر في البحث عن القضاء و
القدر المشتملة على حجج الفريقين وادلة الخصمين واوضحت الحق فيهما بالبرهان الواضح
والدليل اللائح قاصدا في ذلك تحقيق الحق واجتناب طرق الصدق واستعمال الانصاف

نسخة «ح»



أستقصاء النّظر في القضاء و القدر

تأليف

جمال الدّين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي
بن المطهّر الحلّي المشهور بالعلاّمة الحلّي
المتوفى ٧٢٦ هـ

تحقيق

السيّد محمّد الحسيني النيسابوري



الحمد لله الحكيم الغفّار[1] القديم القهّار، العظيم الستّار، الّذي خلق الإنسان و منحه بالإقتدار، و أنعم عليه بالتّكليف المستند إلى الإرادة و الاختيار، و وعده على فعل الطّاعة عقبى الدار، و توعّده على المعصية بدخول النّار، جزاءاً على أفعاله بمقتضى العدل من غير إكراه و لا ظلم و لا إجبار، و صلّى الله على سيّدنا محمّد النّبي المختار، المبعوث من ولد معد بن نزار، و على عترته الأماجد الأطهار، المعصومين من الخطأ و الزّلل حالتي الإيراد و الإصدار، صلاةً تتعاقب عليهم تعاقب الأعصار.

أمّا بعد: فإنّه لمّا كان السّلطان الأعظم، الحاكم في رقاب الأمم، سلطان سلاطين العرب و العجم، شاهنشاه المعظّم، غياث الملّة و الحقّ و الدّين،

---

(١) في «م» و «ج»: العليم.

اولجايتو خدا بنده محمّد[١] مالك وجه الأرض ثبّت الله ملكه إلى يوم النّشر و العرض ، و أيّده[٢] بالألطاف الربّانيّة ، و أبّده[٣] بالعنايات الإلهيّة ، و قرن دولته بالخلود إلى يوم الموعود ، و لا زالت الرّقاب خاضعة لعظمته ، و القلوب خاشعة لهيبته[٤] و الدّنيا معمورة بدوام دولته ، و الأحكام نافذة على وفق إرادته ، و الآمال متوجّهة نحو كعبته ، و النّصر محفوظاً[٥] بألويته[٦] بمحمّد و عترته فأمنحه[٧] الله بالقوّة القدسيّة ، و خصّه بالكمالات النّفسانيّة ، و القريحة الوقّادة[٨] و الفكرة الصحيحة النقّادة ، و فاق في ذلك على جميع الأمم ، و زاد علماً و فضلاً على فضلاء من تأخّر و تقدّم ، و ألهمه الله تعالى العدل في رعيّته ، و الإحسان إلى العلماء من أهل مملكته ، و إفاضة[٩] الخير و الإنعام على جميع الأنام ، و برّز حكمه النّافذ في الأقطار لا زال ممتثلاً في الأعصار .

---

(١) السّلطان شاه محمّد اولجايتو خدابنده أحد السّلاطين الإيلخانيّة المغوليّة ، تشيّع على يد العلاّمة المؤلّف في قصّة أشرت إليها في ترجمته ، فقرّبه منه و أمر له و لتلاميذه بمدرسة سيّارة تنتقل بانتقاله أينما سافر معه ، و يعلم هذا ممّا يوجد في آخر بعض مؤلّفاته من أنّه : وقع الفراغ منه في المدرسة السيّارة السّلطانيّة في كرمانشاهان، و قال في آخر الموجود من كتاب الألفين: و كتب حسن بن مطهّر ببلدة جرجان في صحبة السّلطان الأعظم غياث الدّين محمّد اولجايتو خلّد الله ملكه ، و صنّف في سفره هذا أيضاً الرّسالة السعديّة ، و لأجل هذا السّلطان صنّف العلاّمة كتب : كشف الحق ، منهاج الكرامة ، رسالة وقوع النّسخ ، و هذا الكتاب .

(٢) في «ش» و «آ» : أبّده .

(٣) في «ق» و «ح» و «م» : أمدّه .

(٤) في «ش» و «آ» و «ح» : من هيبته .

(٥) في «ش» و هامش «ح» : محفوفاً .

(٦) ألوية جمع اللّواء : علم الجيش .

(٧) في غير «ح» : قد منحه .

(٨) رجل وقّاد : سريع توقّد القلب .

(٩) في «ح» و «ق» و «آ» : أفاضه .

أمرني بسطر[١] الأدلّة الدالّة على أنّ للعبد آختياراً في أفعاله ، و أنّه غير مجبور عليها ، قابلت ذلك الأمر المطاع بالامتثال و الاتّباع ، و سارعت في إنشاء هذه الرّسالة الموسومة بـ «آستقصاء النّظر في البحث عن القضاء و القدر» المشتملة على حجج الفريقين و أدلّة الخصمين ، و أوضحت الحقّ منهما بالبرهان الواضح ، و الدليل اللائح ، قاصداً في ذلك تحقيق الحقّ ، و آرتكاب نهج الصدق ، و آستعمال الانصاف ، و آجتناب البغي و الاعتساف ، و طلب الحقّ أين[٢] كان ، و الوصول إليه بقدر الإمكان، و الله الموفّق و المعين ، و قبل الخوض في الأدلّة نقرّر محلّ النّزاع ، فنقول :

(مذهب الجهميّة و الأشاعرة في الأفعال)

ذهب جهم بن صفوان[٣] إلى أنّه لا فعل للعبد آلبتّة ، و أنّ الفاعل لجميع الأشياء هو الله تعالى لا غير ، و لا قدرة للعبد .

و ذهب الأشاعرة و النجّاريّة إلى أنّ الله تعالى هو الموجد للأفعال بأجمعها لكنّ العبد مكتسب لأفعاله ، فأثبتوا للعبد قدرة غير مؤثّرة في الفعل بل الفعل صادر من الله تعالى ، و هذا في الحقيقة هو مذهب جهم بن صفوان لكن لمّا خاف[٤] أبو الحسن الأشعري[٥] أنّ الشّناعة تلزمه من إسقاط فائدة التكليف ، و

---

(١) في غير «ج» : سألني بنظر .   (٢) في «م» : كيف .

(٣) هو أبو محرز السّمرقندي رأس الجهميّة ، كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج الخارج على أمراء خراسان ، فقبض عليه نصر بن سيّار و أمر بقتله ، فقتل في سنة ١٢٨ هـ.

(٤) في «م» : رأى ، و في غير «ج» : قال .

(٥) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري ، قدوة الأشاعرة آلّذين آشتهروا به ، كان معتزليّاً ثمّ ←

عدم الفرق بين حركتنا يمنةً و يسرةً و صعودنا إلى السّماء آعتذر بإثبات القدرة، و لكن لمّا لم يجعل أثراً ساوى قول جهم بن صفوان.

(مذهب العدليّة)

أمّا الإماميّة و المعتزلة، فإنّهم قسّموا الأفعال إلى ما يتعلّق بقصودنا و دواعينا، و إرادتنا و آختيارنا، كحركتنا الاختياريّة الصادرة عنّا، كالحركة يمنةً و يسرةً، و إلى ما لا يتعلّق بقصودنا و دواعينا، كالآثار آلّتي يفعلها الله تعالى فينا من الألوان[1] و حركة النموّ و التغذية، و حركة النّبض و غير ذلك، و هو مذهب الحكماء.

و الحقّ أنّا فاعلون[2] و يدلّ عليه العقل و النّقل.

(الأدلّة العقليّة لمذهب العدليّة)

أمّا العقل فلوجوه:

الأوّل:

إنّا نعلم بالضّرورة الفرق بين حركتنا الاختياريّة و الاضطراريّة، و حركة الجماد، و نعلم بالضّرورة قدرتنا على الحركة الأُولى، كحركتنا يمنةً و يسرةً، و عجزنا عن الثانية، كحركتنا إلى السماء، و حركة الواقع من شاهق، و آنتفاء

☜ أنقلب لمنافرة حدثت بينه و بين أبي علي الجبائي، ولد سنة ٢٦٠ و توفّي سنة ٣٢٤هـ، له كتب منها: اللّمع، الموجز، إيضاح البرهان، التبيين عن أُصول الدّين.

(١) في «ح» و «ش» و «آ»: الأكوان.

(٢) في «ج» و «ق» و «م»: أنّا نعلم بالضرورة أنّا فاعلون.

قدرة الجماد، و من أسند الأفعال إلى الله تعالى ينفي الفرق بينهما، و يحكم بنفي ما قضت الضرورة بثبوته.

قال أبو الهذيل العلاّف[١] ـ و نعم ما قال ـ : حمار بشرٍ أعقل من بشر، فإنّ حمار بشر لو أتيت به إلى جدول صغير و ضربته للعبور فإنّه يطفر[٢] و لو أتيت به إلى جدول كبير و ضربته فإنّه لايطفر و يروغ عنه لأنّه فرق بين ما يقدر على طفره و ما لايقدر عليه، و بشر لايفرق بين المقدور عليه و غير المقدور.

الثّاني:

إنّه لو كانت الأفعال كلّها منسوبة إلى الله تعالى لم يبق عندنا فرق بين من أحسن إلينا غاية الإحسان، و من أساء إلينا غاية الإساءة طول عمره، و كان يقبح منّا شكر الأوّل و مدحه، و ذمّ الثاني، لأنّ الفعلين صادران عن الله تعالى لا عن الفاعلين، و لمّا علمنا بطلان ذلك، و أنّه يحسن مدح الأوّل و ذمّ الثاني علمنا أنّ العلم باستناد الأفعال إلينا قطعيّ لايقبل الشكّ.

الثّالث:

إنّه لو كانت الأفعال صادرة عن الله تعالى قبح منه أن يأمرنا و ينهانا و يكلّفنا، كما أنّه يقبح من أحدنا أمر الزّمِن بالطّيران إلى السّماء، لأنّا عاجزون عن امتثال هذه الأفعال، لاستحالة صدورها عنّا

كما أنّ الزّمِن عاجز عن ذلك؛ و كما أنّه يقبح منّا أمر الواقع من شاهق

---

(١) هو محمد بن عبدالله بن مكحول البصري المشتهر بالعلاّف من زعماء المعتزلة و ممّن شيّد أركان الاعتزال، و إليه تنتمي الفرقة الهذيليّة من المعتزلة، له كتب، منها: كتاب الملابس، و كتاب في مناظراته مع علي الميثمي؛ توفي ببلدة سرّ من رأى سنة ٢٣٥، و قيل غيرها.

(٢) الطفرة: الوثوب في ارتفاع.

بالحركة و السّكون ، كذا يقبح أمر المكلّف بالطّاعة و آجتناب المعصية ، لعجزه عنهما و وقوعهما بغيره ؛ لكنّ الله قد أمر و نهى ، و أنذر و حذّر ، و وعد و توعّد ، و كيف يحسن منه تعالى أن يقول : ﴿الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنهُما مِائَةَ جَلدَةٍ﴾[1] ﴿وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أيْدِيَهُما﴾[2] و هو آلّذي فعل الزّنا عندهم، و السّرقة ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

الرّابع :

إنّ أفعالنا نعلم بالضّرورة أنّها تقع عند قصودنا و دواعينا و بحسبهما ، و تنتفي عند كراهتنا و صوارفنا ، فإنّا إذا أردنا الحركة يمنةً فعلناها و لا يقع منّا سكون و لا الحركة يسرةً ، و لو لا آستنادها إلينا لجاز أن تقع و إن كرهناها ، و أن لا تقع و إن أردناها .

الخامس :

إنّه يلزم منه أن يكون الله تعالى في غاية الظّلم للعباد ، و الجور ـ تعالى الله عن ذلك ـ لأنّه يخلق فينا المعاصي و أنواع الكفر و الشّرك و يعذّبنا عليها، و لا فرق بين خلقه الكفر في الكافر ، و خلق لونه و طوله . فكما يلزم الظّلم لو عذّبه على لونه و طوله ، فكذا يلزم الظّلم لو عذّبه على الكفر آلّذي خلقه فيه ، و قد نزّه الله تعالى نفسه ، فقال : ﴿وَ مـا رَبُّكَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[3] ﴿وَ مـا اللهُ يُـرِيدُ ظُـلْماً لِلعِبادِ﴾[4] فأيُّ ظلم أعظم من تعذيب الغير[5] على فعل يصدر من الظّالم لا حيلة للمظلوم فيه ، و لا يتمكّن من تركه .

---

(١) سورة النور (٢٤) : ٢ .
(٢) سورة المائدة (٥) : ٣٨ .
(٣) سورة فصّلت (٤١) : ٤٦ .
(٤) سورة غافر (٤٠) : ٣١ .
(٥) في «ش» : العبد .

و من أغرب الأشياء و أعجبها أنّهم ينزّهون أنفسهم عن المعاصي و الكفر و أنواع الفساد، و ينزّهون إبليس عن ذلك أيضاً، و وصفوا الله تعالى بذلك، و قد كذّبهم الله تعالى في كتابه العزيز، فقال: ﴿وَ إذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللهُ أمَرَنا بِها قُلْ إنَّ اللهَ لا يأمُرُ بِالفَحشاءِ﴾[1] و قال: ﴿وَ لا يَرضَى لِعِبادِهِ الكُفرَ﴾[2] و الأشاعرة يقولون: إنّه يريد منهم الكفر، و أيّ عاقل يرضى لنفسه مذهباً يلزم منه تكذيب الله تعالى.

السّادس:

إنّه يلزم منه أن يكون الكافر مطيعاً لله تعالى بكفره، لأنّه قد فعل ما هو مراد الله تعالى و هو الكفر و لم يفعل ما يكرهه الله تعالى و هو الايمان، لأنّ الايمان عندهم غير مراد الله تعالى من الكافر، بل هو ممّا يكرهه الله تعالى من الكافر؛ و أيّ عاقل يرضى لنفسه اعتقاداً بأنّ الكفر إطاعة، و أنّ الايمان معصية، نعوذ بالله تعالى من ذلك.

السّابع:

إنّه يلزم منه نسبة السّفه إلى الله تعالى، و أنّه يفعل ضدّ الحكمة، لأنّ العقلاء إنّما يأمرون الغير بما يريدون إيقاعه منه، و ينهون عمّا يكرهون إيقاعه منه، و إنّ من أراد من غيره فعلاً و نهاه عنه، و من كره فعلاً و أمر به نسبه العقلاء إلى الحمق و السّفه.

(شبهة الأشاعره في الإيمان و الجواب عنها)

و الأشاعرة يقولون: إنّ الله تعالى كره الايمان من الكافر و أمر به و أراد

---

(١) سورة الأعراف (٧): ٢٨.　　(٢) سورة الزمر (٣٩): ٧.

الكفر منه و نهاه عنه ، و أيّ عاقل يرضى لنفسه نسبة السّفه إلى الله تعالى و هو الحكيم في أفعاله ، كما قال : ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[1] و وصف نفسه بأنّه حكيم[2] و قولهم يضادّ ذلك ؛ فإن آعتذروا بأنّ الأمر قد يتحقّق بدون الإرادة ، كما في السيّد إذا ضرب عبده ، و طلب السّلطان الانتقام منه ، فاعتذر بأنّه لا يطيعني ، فيقول له السّلطان : مُره حتّى أعرف عدم إطاعته ، فإنّ السيّد إذا أمره لم يرد منه الفعل .

قلنا : هذا خطأ من وجوه :

أوّلها : إنّه مثال جزئي لا نظير له ، و لا مثال سواه ، فكيف يصحّ منّا حمل أوامر الله تعالى و نواهيه ، و أوامر العقلاء و نواهيهم على هذه المثال الجزئي النّادر ، مع أنّ جميع الأوامر و النّواهي لا ينفكّ عن الإرادة و الكراهة ؟

و ثانيها : إنّا نمنع أمر السيّد هنا بل يوجد صيغة الأمر و لا يأمره أمراً حقيقيّاً .

و ثالثها : إنّ السيّد كما لا يريد الفعل ، كذا لا يطلبه ، فإنّ السيّد يطلب إقامة عذره و تمهيده عند السّلطان ، و ليس ذلك بطلب الفعل منه كما أنّه ليس بإرادته ، فإذا آمتنعت الإرادة هنا يمتنع الطلب مع آتّفاقهم على إثبات طلب الفعل منه .

و رابعها : إنّ السيّد يكره على الأمر بما لا يريد و البحث إنّما هو في غير المكره ، و لا يلزم من الانفكاك عند الإكراه الانفكاك مع الاختيار .

الثّامن :

يلزم جواز أن يعذّب الله تعالى سيّد الرّسل العذاب الدّائم ، و يخلّد إبليس

---

(١) سورة الملك (٦٧) : ٣ .

(٢) جاء وصفه تعالى بأنّه حكيم في أكثر من سبع و ثلاثين آية ، فراجع القرآن .

و فرعون بالجنان و يورثهما إيّاها ، حيث إنّه لا مدخل للطّاعة و المعصية في آستحقاق الثّواب و العقاب عندهم ، فيبطل جميع التكاليف و يلتجىء كلّ عاقل إلى الرّاحة من التكاليف ، و يفعل أنواع الملاذّ و المعاصي و الملاهي المحرّمة ، و ترك التكاليف الشاقّة ، إذ لا فرق بين آرتكاب المشاقّ و آمتثال الأوامر بالطّاعات ، و بين آرتكاب أنواع الفسوق ، بل يجب أن يحكم بسفه الزّاهد العابد المنفق أمواله في أصناف الخير ، من بناء المساجد و الرُّبط و المدارس ، لأنّه يعجل لنفسه آرتكاب المشقّة ، و يخرج ما يحتاج إليه من الأموال لغرض لايحصل بفعل ذلك ، بل يحصل به العذاب ، و يترك الرّاحة و الملاذّ و الملاهي ، مع أنّه قد يحصل به النّعيم المؤبّد ، و أيّ عاقل يرضى لنفسه مثل هذا المذهب المؤدّي إلى خراب العالم ، و آختلال نظام النّوع الإنساني ، و آضطراب الشّريعة المحمّديّة صلّى الله عليه و آله.

التاسع :

إنّه يلزم منه الكفر ، و عدم الجزم بصدق الرّسول ﷺ و آنتفاء الوثوق بشيء من الشّرائع و الأديان ، لأنّ الكفر و الإضلال ، و جميع أنواع المعاصي و أنواع الفسوق ، و دعوى الكذّابين في النبوّة صادرة عنه تعالى و واقعة بإرادته ، فجاز أن يكون محمّد ﷺ و غيره من الأنبياء المتقدّمين كموسى و عيسى و غيرهما عليهما السلام قد آدّعوا النبوّة و هم كذّابون ، و إنّه تعالى خلق المعجز عقيب دعواهم لإضلال[1] الخلق ، لأنّ العصاة و الفسّاق و الكفّار في العالم أكثر من المطيعين ، لقوله تعالى: ﴿وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾[2] ﴿وَ قَلِيلٌ مَا هُمْ﴾[3]

---

(١) في «ح» و «ش» و «آ» : لإضلالهم.
(٢) سورة سبأ (٣٤) : ١٣.
(٣) سورة ص (٣٨) : ٢٤.

فتكون عادته تعالى جارية بالإضلال ، فكيف يعرف صدق الأنبياء حينئذٍ ، و أيّ طريق يوصلنا إلى ذلك ، مع علمنا بأنّه تعالى يضلّ العالم ، و يفعل بهم ضدّ الحقّ ، و لايريد هدايتهم ، و لا إرشادهم ؟ فنعوذ بالله تعالى من المصير إلى هذا المذهب المؤدّي إلى ذلك .

العاشر :

الأشاعرة شاكّون في حصول النّجاة لهم و لأنبيائهم ، إذ لايمكنهم الجزم بذلك ، فإنّ الثّواب و العقاب غير مستحقّين عندهم بفعل الطّاعات و المعاصي ، بل جاز أن يعذّب الله المؤمن ، بل النّبي ، و يثيب الكافر على ما تقدّم ، والشكّ كفر نعوذ بالله من ذلك .

الحادي عشر :

إنّه يلزم منه أن يصف الله تعالى نفسه بوصف غير متحقّق له و ذلك كفر ، بيان ذلك أنّه تعالى وصف نفسه بالرّحمة و الغفران و العفو ، و إنّما يتحقّق ذلك لو كان الله تعالى مستحقّاً للعقاب في جنب الفسّاق بحيث يتحقّق بإسقاط العفو و الغفران و الرحمة ، و إلاّ فأين يتحقّق العفو إذا لم يكن مستحقّاً لعقاب العصاة ، و إنّما يتحقّق العقاب لو كان العصيان مستنداً إلى العبد ، أمّا إذا[١] كان مستنداً إلى الله تعالى ، واقعاً بإرادته لم يكن له[٢] على العاصي حقّ .

الثّاني عشر :

إذا كانت الأفعال واقعة بإرادته و قدرته تعالى كيف يتحقّق الظّلم من العباد، و كيف يحسن منه تعالى أن يقول : ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِيْنَ﴾[٣] و أيّ

---

(١) في «ش» و «آ» : ما ، في «ق» : لو . (٢) له في «م» فقط .

(٣) سورة هود (١١) : ١٨ .

ذنب للظّالم في ظلمه إذا كان من فعله تعالى ، و كيف يحسن منه لعنته و أمر العباد بها ؟

الثّالث عشر :

إنّه يلزم من مذهب الأشاعرة هنا عدم التديّن بشيء من الشّرائع و الأديان، لا بدين الإسلام ، و لا بغيره من شرائع الأنبياء السّالفين[1] لأنّ مبنى الأديان على صدق الأنبياء عليهم السلام و إنّما يتمّ صدق النّبي بمقدّمتين لا يذهب إليهما الأشاعرة : إحداهما أنّ الله تعالى فعل المعجز على يد مدّعي الرّسالة لأجل تصديقه و لغرض صحّة دعواه،والثّانية أنّ من صدّقه الله تعالى فهو صادق.

أمّا المقدّمة الأولى : فاستعمل فيه قياس الغائب على الشّاهد ، و قالوا: لو أنّ شخصاً آدّعى أنّه رسول السّلطان إلى رعيّته ، ثمّ قال : أيّها السّلطان إن كنتُ رسولك حقّاً فانزع خاتمك من إصبعك ، فنزع السّلطان خاتمه من إصبعه و كرّر ذلك مراراً ، فإنّ الحاضرين إن علموا أنّ السّلطان نزع خاتمه لغرض تصديقه حكموا بأنّه قد أرسله إلى الرّعيّة ، و إن علموا أنّه نزعه للرّاحة أو للعبث أو لأمر آخر أو لا لغرض فإنّه لا يحكمون بأنّه قد صدّقه ، و كذلك النّبي إذا ظهر و آدّعى الرّسالة ، و خلق الله المعجز على يده ، إن علم النّاس أنّه تعالى لم يفعل ذلك لغرض تصديقه لم يحكموا بصدقه ، و إلاّ حكموا بصدقه ، و الأشاعرة منعوا هذه المقدّمة و قالوا إنّ الله تعالى لا يجوز أن يفعل شيئاً من الأفعال لغرض ألبتّة ، فكيف يتحقّق حينئذٍ العلم بصدق مدّعي الرّسالة ؟

أمّا المقدّمة الثانية : فإنّ المعتزلة آلتجؤوا فيها إلى حكم العقل من قبح

---

(١) في غير «ح» : السابقين .

تصديق الكذّاب ، فإذا صدّق الله تعالى مدّعي الرّسالة علمنا أنّه صادق، لاستحالة القبيح عليه ، و هذه المقدّمة لاتتمشّى على مذهب الأشاعرة ، لأنّ القبائح كلّها مستندة إلى الله تعالى عندهم ، فجاز أن يصدّق الكاذب ، فلايتحقّق العلم بصدق النّبي الصادق .

الرّابع عشر :

الأشاعرة لم يرضوا بقضاء الله تعالى و قدَره ، و حرّموا ذلك على العباد ، لأنّ الله تعالى قضى بالكفر على الكافر و بالمعصية على العاصي و حرّموا الرّضا بالكفر و العصيان . أمّا الإماميّة ، فإنّهم رضوا بقضاء الله تعالى و قدره ، لأنّه تعالى إنّما يقضي بالحقّ و يقدره ، و حاشى الله تعالى أن يقضي بالباطل .

الخامس عشر :

مذهب الأشاعرة يلزم منه انتفاء[1] الوثوق بوعد الله تعالى و وعيده ، و تنتفي فائدة بعثة الأنبياء عليهم السلام لأنّ أنواع المعاصي عندهم صادرة عنه تعالى و من جملتها الكذب ، فجاز أن يكون خبره بالوعد و الوعيد كذباً ، فلايبقى في بعثة الأنبياء فائدة و ذلك فساد عظيم تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

السّادس عشر :

لو كانت الأفعال مخلوقة لله تعالى لزم تكليف ما لايطاق ، و هو قبيح عقلاً، و السّمع قد منع منه ، فقال الله تعالى : ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها﴾[2].

السّابع عشر :

إنّ الله تعالى خلق العالم عند الإماميّة و المعتزلة لحكمة ظاهرة و هي إيصال الجود إلى خلقه ، فإنّه قد ثبت أنّ الوجود خير و العدم شرّ ، و لإظهار

---

(١) في «م» و «ق» و «ح» : إسقاط .   (٢) سورة البقرة (٢) : ٢٨٦ .

رحمته و لطف عنايته و طلب معرفته ، كما قال في كتابه العزيز ﴿وَ مَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَ الإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1] ثمّ أرسل الرّسل لإرشاد العالم إلى كيفيّة عبادته على الوجوه الشّرعيّة ، لعجز العقول عن تفاصيل العبادات ، فيثيب المطيع لهم و يعاقب المخالف المعاند ، و إنّما يتمّ ذلك كلّه لو كان الله تعالى يفعل لغرض ، و كان للعبد أثر في أفعاله ، و على قول المجبرة لايتمّ ذلك ، لأنّه تعالى عندهم لايفعل لغرض ، و لا أثر للعبد ألبتّة .

الثامن عشر :

إنّه يلزم إفحام[2] الأنبياء عليهم السلام لأنّ النّبي إذا قال للكافر : آمن بي ، فإذا قال له الكافر : قل للّذي بعثك يخلق في الإيمان بدل الكفر حتّى آمن ، لأنّي لا قدرة لي على مقاهرة القديم انقطع النّبي .

(الأدلّة النّقليّة لمذهب العدليّة)

و أمّا المنقول فوجوه :

الأوّل :

الآيات الدّالّة على مدح المؤمن على إيمانه و ذمّ الكافر على كفره و الوعد بالثّواب على الطّاعة و العقاب على المعصية ، كقوله تعالى : ﴿وَ إبراهِيمَ الَّذِي وَفّى﴾[3] ﴿إِنَّه كانَ عَبداً شَكُوراً﴾[4] ﴿إِنَّ إبْراهِيمَ لأَوّاهٌ حَلِيمٌ﴾[5] ﴿وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[6] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[7] ﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ﴾[8] ﴿اُدخُلُوا الجَنَّةَ بِما

---

(١) سورة الذاريات (٥١) : ٥٦ .

(٢) أفحمت الخصم إفحاماً : إذا أسكتّه بالحجّة .

(٣) سورة النجم (٥٣) : ٣٧ .

(٤) سورة الإسراء (١٧) : ٣ .

(٥) سورة التوبة (٩) : ١١٤ .

(٦) سورة القلم (٦٨) : ٤ .

(٧) سورة مريم (١٩) : ٣٧ .

(٨) سورة تبّت (١١١) : ١ .

كُنتُم تعمَلُونَ﴾[١].

الثاني :

الآيات الدالّة على المجازاة على الأفعال، قال الله تعالى : ﴿اليَومَ تُجزى كُلُّ نَفسٍ بِما كَسَبَتْ﴾[٢] ﴿اليَومَ تُجزَونَ ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾[٣] ﴿وَ لاتَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرىٰ﴾[٤] ﴿لِتُجزىٰ كُلُّ نَفسٍ بِما تَسعىٰ﴾[٥] ﴿هَل جَزاءُ الإحسانِ إلاّ الإحسان﴾[٦] ﴿هَل تُجزَونَ إلاّ ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾[٧] ﴿مَن جاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ أمثالِها وَ مَن جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلايُجزىٰ إلاّ مِثلَها﴾[٨] ﴿لِيُوَفِّيَهُم أُجُورَهُم﴾[٩] ﴿وَ مَن أعرَضَ عَن ذِكرِي فَإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾[١٠] ﴿وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثلُها﴾[١١] ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الحَيٰوةَ الدُّنيا﴾[١٢] ﴿لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيها ما اكتَسَبَتْ﴾[١٣] ﴿لِمِثلِ هٰذا فَليَعمَلِ العامِلُونَ﴾[١٤] و لو لا أن يكون العبد فاعلاً لما استحقّ الجزاء عليه من ثواب أو عقاب، و لم يتحقّق المجازاة و المقابلة بإزاء الأفعال.

الثالث :

الآيات الدالّة على أنّ أفعال العباد مستندة إليهم و صادرة عنهم، كقوله

(١) سورة النحل (١٦) : ٣٢.
(٢) سورة المؤمن (٤٠) : ١٧.
(٣) سورة الجاثية (٤٥) : ٢٨.
(٤) سورة الأعراف (٧) : ١٦٤، سورة الإسراء (١٧) : ١٥، سورة فاطر (٣٥) : ١٨، سورة الزمر (٣٩) : ٧، سورة النجم (٥٣) : ٣٨.
(٥) سورة طه (٢٠) : ١٥.
(٦) سورة الرحمن (٥٥) : ٦٠.
(٧) سورة النمل (٢٧) : ٩٠.
(٨) سورة الأنعام (٦) : ١٦٠.
(٩) سورة فاطر (٣٥) : ٣٠.
(١٠) سورة طه (٢٠) : ١٢٤.
(١١) سورة الشورى (٤٢) : ٤٠
(١٢) سورة البقرة (٢) : ٨٦.
(١٣) سورة البقرة (٢) : ٢٨٦.
(١٤) سورة الصافّات (٣٧) : ٦١.

تعالى : ﴿ فَوَيلٌ لِلَّذِينَ يَكتُبُونَ الكِتابَ بِأيدِيهِم ﴾[١] ﴿ إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ ﴾[٢] ﴿ ذلِكَ بِأنَّ اللهَ لَم يَكُ مُغَيِّراً نِعمَةً أنعَمَها عَلىٰ قَومٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا ما بِأنفُسِهِم ﴾[٣] ﴿ بَل سَوَّلَت لَكُم أنفُسُكُم أمراً ﴾[٤] ﴿ فَطَوَّعَت لَهُ نَفسُهُ قَتلَ أخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾[٥] ﴿ مَن يَعمَل سُوءاً يُجزَ بِهِ ﴾[٦] ﴿ كُلُّ امرِىءٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[٧] ﴿ ما كانَ لِيَ عَلَيكُم مِن سُلطانٍ إلاَّ أن دَعَوتُكُم فَاستَجَبتُم لِي فَلا تَلُومُونِي وَ لُومُوا أنفُسَكُم ﴾[٨] ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أموالَهُم بِاللَّيلِ وَ النَّهارِ سِرّاً وَ عَلانِيَةً ﴾[٩] ﴿ يَرجُونَ تِجارَةً لَن تَبُورَ ﴾[١٠] ﴿ إذا تَدايَنتُم بِدَينٍ إلى أجَلٍ مُسَمًّى فَاكتُبُوهُ وَ لِيَكتُب بَينَكُم كاتِبٌ بِالعَدلِ وَ لا يَأبَ كاتِبٌ أن يَكتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللهُ فَليَكتُب ﴾[١١] ﴿ إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيهِم أ أنذَرتَهُم أم لَم تُنذِرهُم لا يُؤمِنُونَ ﴾[١٢].

الرابع :

إنّ الله تعالى نزّه نفسه أن يكون أفعاله مثل أفعال المخلوقين من التفاوت و الاختلاف ، فقال تعالى : ﴿ ما تَرىٰ فِي خَلقِ الرَّحمٰنِ مِن تَفاوُتٍ ﴾[١٣] ﴿ الَّذِي أحسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدىٰ ﴾[١٤] و الكفر ليس بحسن .

الخامس :

إنّ الله نزّه نفسه عن الظّلم ، فقال تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ النّاسَ شَيئاً وَ لكِنَّ

---

(١) سورة البقرة (٢) : ٧٩.
(٢) سورة يونس (١٠) : ٦٦.
(٣) سورة الأنفال (٨) : ٥٣.
(٤) سورة يوسف (١٢) : ١٨.
(٥) سورة المائدة (٥) : ٣٠.
(٦) سورة النساء (٤) : ١٢٣.
(٧) سورة الطور (٥٢) : ٢١.
(٨) سورة إبراهيم (١٤) : ٢٢.
(٩) سورة البقرة (٢) : ٢٧٤.
(١٠) سورة فاطر (٣٥) : ٢٩.
(١١) سورة البقرة (٢) : ٢٨٢.
(١٢) سورة البقرة (٢) : ٦.
(١٣) سورة الملك (٦٧) : ٣.
(١٤) سورة السجدة (٣٢) : ٧.

النّاس أنفُسَهم يَظلِمُون﴾[١]﴿إنّ الله لا يَظلِمُ مِثقالَ ذَرَّةٍ﴾[٢]﴿وَ ما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلعَبيد﴾[٣]﴿وَ ما ظَلَمناهُم وَ لكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾[٤]﴿لا ظُلمَ اليَومَ﴾[٥]﴿وَ لا يُظلَمُونَ فَتِيلاً﴾[٦]﴿وَ لا يُظلَمُونَ نَقِيراً﴾[٧]﴿وَ ما اللهُ يُرِيدُ ظُلماً لِلعِبادِ﴾[٨].

السّادس :

إنّه تعالى ذمّ عباده على الكفر و المعاصي الصادرة عنهم و وبّخهم على ذلك و منعهم عنه ، فقال الله تعالى : ﴿كَيفَ تَكفُرُونَ بِاللهِ﴾[٩] و يقبح منه تعالى أن يخلق الكفر في الكافر و يوبّخه عليه مع عجز العبد عن مقاهرته تعالى و إيقاع خلاف إرادته ، كيف يحسن منه أن يقول : ﴿وَ ما مَنَعَ النّاسَ أن يُؤمِنُوا إذ جاءَهُمُ الهُدىٰ﴾[١٠] و هو المانع لهم ، و يقول لإبليس : ﴿ما مَنَعَكَ ألاّ تَسجُدَ إذ أمَرتُكَ﴾[١١] و قد كان لإبليس أن يلتجىء إلى قوله : أنت المانع لي ، و القاهر على ترك السجود ، و لا أتمكّن من مقاهرتك ، و لم يعتذر بالافتخار على آدم ، و مثل هذا الانكار كمثل شخص حبس عبده في بيت ، و جعله بحيث لايتمكّن من الخروج منه ، ثمّ يقول له : ما منعك من الخروج عنه إلى قضاء أشغالي ؟ و يعاقبه على ذلك بأنواع العقوبات ، و لا شكّ عند العقلاء أنّ هذا قبيح .

---

(١) سورة يونس (١٠) : ٤٤ .
(٢) سورة النساء (٤) : ٤٠ .
(٣) سورة فصلت (٤١) : ٤٦ .
(٤) سورة النحل (١٦) : ١١٨ .
(٥) سورة المؤمن (٤٠) : ١٧ .
(٦) سورة الإسراء (١٧) : ٧١ ، و النساء (٤) : ٤٩ و ٧٧ .
(٧) سورة النساء (٤) : ١٢٤ .
(٨) سورة المؤمن (٤٠) : ٣١ .
(٩) سورة البقرة (٢) : ٢٨ .
(١٠) سورة الإسراء (١٧) : ٩٤ ، الكهف (١٨) : ٥٥ .
(١١) سورة الأعراف (٧) : ١٢ .

و قال الله تعالى : ﴿وَ ما ذا عَلَيهِم لَو آمَنُوا﴾[1] و قال موسى عليه السلام : ﴿ما مَنَعَكَ إذ رَأيتَهُم ضَلُّوا ألاّ تَتَّبِعَنِ﴾[2] و قال : ﴿فَما لَهُم عَنِ التَّذكِرَةِ مُعرِضِينَ﴾[3] ﴿فَما لَهُم لا يُؤمِنُونَ﴾[4] ﴿لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ﴾[5] ﴿لِمَ أذِنتَ لَهُم﴾[6] إلى غير ذلك من الآيات .

السّابع :

الآيات الدالّة على العفو ، كقوله تعالى : ﴿عَفَى اللهُ عَنكَ﴾[7] ﴿وَ يَغفِرَ لَكُم ذُنُوبَكُم﴾[8] ﴿وَ يَغفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ﴾[9] و إنّما يتحقّق العفو و الغفران لو صدر الذّنب عن العبد .

الثّامن :

الآيات الدالّة على الانكار ، كقوله تعالى : ﴿لِمَ تَلبِسُونَ الحَقَّ بِالباطِلِ﴾[10] ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾[11] ﴿فَأنّى تُصرَفُونَ﴾[12] ﴿فَأنّى تُؤفَكُونَ﴾[13] ﴿لِمَ تَكفُرُونَ﴾[14] و كيف يحسن منه تعالى التّعنيف على ذلك و هو الفاعل له ؟ و كيف يحول بين العبد و الايمان ، ثمّ يقول : ﴿وَ ما ذا عَلَيهِم لَو آمَنُوا﴾[15] و ذهب

---

(١) سورة النساء (٤) : ٣٩.
(٢) سورة طه (٢٠) : ٩٢.
(٣) سورة المدثر (٧٤) : ٤٩.
(٤) سورة الانشقاق (٨٤) : ٢٠.
(٥) سورة التحريم (٦٦) : ١.
(٦) سورة التوبة (٩) : ٤٣.
(٧) سورة التوبة (٩) : ٤٣.
(٨) سورة آل عمران (٣) : ٣١.
(٩) سورة النساء (٤) : ٤٨.
(١٠) سورة آل عمران (٣) : ٧١.
(١١) سورة آل عمران (٣) : ٩٩.
(١٢) سورة يونس (١٠) : ٣٢، الزمر (٣٩) : ٦.
(١٣) سورة المؤمن (٤٠) : ٦٢، الأنعام (٦) : ٩٥، يونس (١٠) : ٣٤، فاطر (٣٥) : ٣.
(١٤) سورة آل عمران (٣) : ٧٠ و ٩٨.
(١٥) سورة النساء (٤) : ٣٩.

بهم عن الرّشد ، ثمّ قال : ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[١] و كيف يضلّهم عن الدّين حتّى يعرضوا ، ثمّ يقول : ﴿فَما لَهُم عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعرِضِينَ﴾[٢] ؟

التّاسع :

الآيات الدالّة على أنّه تعالى خيّر عباده في أفعالهم ، و جعلها معلّقة بمشيّتهم ، فقال : ﴿فَمَن شاءَ فَلْيُؤمِن وَ مَن شاءَ فَلْيَكفُر﴾[٣] ﴿اعمَلُوا ما شِئتُم﴾[٤] ﴿لِمَن شاءَ مِنكُم أن يَتَقَدَّمَ أو يَتَأخَّرَ﴾[٥] ﴿فَمَن شاءَ ذَكَرَهُ﴾[٦] ﴿فَمَن شاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾[٧] ﴿فَمَن شاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ مَآباً﴾[٨] .

العاشر :

الآيات الدالّة على الانكار على من نفى المشيّة عن نفسه و أضافها إلى الله تعالى ، فقال تعالى : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أشرَكُوا لَو شاءَ اللهُ ما أشرَكنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمنا مِن شَيءٍ﴾[٩] ﴿وَ قالُوا لَو شاءَ الرَّحمنُ ما عَبَدناهُم﴾[١٠] .

الحادي عشر :

الآيات الدالّة على أنّه تعالى أمر العباد بالمسارعة إلى فعل الطّاعات، فقال: ﴿وَ سارِعُوا إلى مَغفِرَةٍ مِن رَبِّكُم﴾[١١] ﴿فَاستَبِقُوا الخَيراتِ﴾[١٢] ﴿وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِكَ المُقَرَّبُونَ﴾[١٣]

---

(١) سورة التكوير (٨١) : ٢٦ .
(٢) سورة المدثر (٧٤) : ٤٩ .
(٣) سورة الكهف (١٨) : ٢٩ .
(٤) سورة فصلت (٤١) : ٤٠ .
(٥) سورة المدثر (٧٤) : ٣٧ .
(٦) سورة المدثر (٧٤) : ٥٥ ، عبس (٨٠) : ١٢ .
(٧) سورة المزمل (٧٣) : ١٩ .
(٨) سورة النبأ (٧٨) : ٣٩ .
(٩) سورة الأنعام (٦) : ١٤٨ .
(١٠) سورة الزخرف (٤٣) : ٢٠ .
(١١) سورة آل عمران (٣) : ١٣٣ .
(١٢) سورة البقرة (٢) : ١٤٨ ، و المائدة (٥) : ٤٨ .
(١٣) سورة الواقعة (٥٦) : ١٠، ١١ .

الثّاني عشر:

الآيات الدالّة على أمر العباد بالأفعال، فقال: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[١] ﴿وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾[٢] ﴿أَجِيبُوا داعِيَ اللهِ وَ آمِنُوا بِهِ﴾[٣] ﴿اسْتَجِيبُوا للهِ وَ لِلرَّسُولِ﴾[٤] ﴿ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُم وَ افْعَلُوا الخَيْرَ﴾[٥] ﴿فَآمِنُوا خَيراً لَكُمْ﴾[٦] ﴿وَ اتَّبِعُوا أَحسَنَ ما أُنزِلَ إِلَيكُم مِن رَبِّكُم﴾[٧] ﴿وَ أَنِيبُوا إِلىٰ رَبِّكُم﴾[٨].

الثّالث عشر:

الآيات الدالّة على حثّ الله تعالى عباده على الاستعانة به، فقال: ﴿إِيّاكَ نَعبُدُ وَ إِيّاكَ نَستَعِينُ﴾[٩] ﴿وَ استَعِينُوا بِاللهِ﴾[١٠] ﴿فَاستَعِذ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ﴾[١١] و كيف يجوز أن يخلق فينا الكفر و الظّلم و أنواع المعاصي و يأمرنا بالاستعانة به، و الشّيطان مبرّأ عندهم من فعل شيء ألبتّة و يأمرنا بالاستعاذة منه، و قد كان الواجب على قولهم الاستعانة بالشّيطان و الاستعاذة به من الله تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

الرّابع عشر:

---

(١) سورة النساء (٤): ٥٩، محمّد (٤٧): ٣٣.

(٢) سورة البقرة (٢): ٤٣، ٨٣، ١١٠، و في السور ٤: ٧٧، ١٠: ٨٧، ٢٤: ٥٦، ٣٠: ٣١، ٧٣: ٢٠.

(٣) سورة الأحقاف (٤٦): ٣١.

(٤) سورة الأنفال (٨): ٢٤.

(٥) سورة الحج (٢٢): ٧٧.

(٦) سورة النساء (٤): ١٧٠.

(٧) سورة الزمر (٣٩): ٥٥.

(٨) سورة الزمر (٣٩): ٥٤. أقول: هذه نموذج قليلة من الآيات الكثيرة الدالّة على أمره تعالى العباد بالأفعال.

(٩) سورة الفاتحة (١): ٥.

(١٠) سورة الأعراف (٧): ١٢٨.

(١١) سورة النحل (١٦): ٩٨.

الآيات الدالّة على فعل الله تعالى اللُّطف للعباد[١] قال الله تعالى : ﴿أَ وَ لا يَرَوْنَ أَنَّهُم يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَو مَرَّتَينِ﴾[٢] ﴿وَ لَو لا أَن يَكُونَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً﴾[٣] ﴿وَ لَو بَسَطَ اللهُ الرِّزقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوا فِي الأَرضِ﴾[٤] ﴿فَبِما رَحمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُم﴾[٥] ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنهى عَنِ الفَحشاءِ وَ المُنكَرِ﴾[٦] و إذا كانت الأفعال من الله تعالى ، فأيّ فائدة تقع في اللّطف المقرّب إليها مع أنّها من فعله تعالى .

الخامس عشر :

الآيات الدالّة على آعتراف الكفّار و العصاة باستناد أفعالهم إليهم ، كقوله تعالى : ﴿وَ لَو تَرى إِذِ الظّالِمُونَ مَوقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِم ـ إلى قوله ـ أَ نَحنُ صَدَدناكُم عَنِ الهُدىٰ بَعدَ إِذ جاءَكُم بَل كُنتُم قَوماً مُجرِمِينَ﴾[٧] و قوله تعالى : ﴿ما سَلَكَكُم فِي سَقَرَ قالُوا لَم نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ وَ لَم نَكُ نُطعِمُ المِسكِينَ﴾[٨] الخ ، و قوله تعالى : ﴿كُلَّما أُلقِيَ فِيها فَوجٌ سَأَلَهُم خَزَنَتُها أَلَم يَأتِكُم نَذِيرٌ قالُوا بَلى قَد جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبنا وَ قُلنا ما نَزَّلَ اللهُ مِن شَيءٍ﴾[٩] ﴿أُولئِكَ يَنالُهُم نَصِيبُهُم مِنَ الكِتابِ ـ إلى قوله ـ فَذُوقُوا العَذابَ بِما كُنتُم تَكسِبُونَ﴾[١٠] ﴿فَبِظُلمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمنا عَلَيهِم طَيِّباتٍ أُحِلَّت لَهُم﴾[١١] و غير ذلك من الآيات .

السّادس عشر :

---

(١) اللّطف هو ما يكون المكلّف معه أقرب إلى فعل الطّاعة و أبعد من فعل المعصية ، و لم يكن له حظّ في التمكين ، و لم يبلغ حدّ الإلجاء ، هذا هو اللّطف المقرّب .

(٢) سورة التوبة (٩) : ١٢٦ .

(٣) سورة الزخرف (٤٣) : ٣٣ .

(٤) سورة الشورى (٤٢) : ٢٧ .

(٥) سورة آل عمران (٣) : ١٥٩ .

(٦) سورة العنكبوت (٢٩) : ٤٥ .

(٧) سورة سبأ (٣٤) : ٣١،٣٢ .

(٨) سورة المدثر (٧٤) : ٤٣ .

(٩) سورة الملك (٦٧) : ٨ .

(١٠) سورة الأعراف (٧) : ٣٩ .

(١١) سورة النساء (٤) : ١٦٠ .

الآيات الدالّة على تحسّر الكفّار في الآخـرة ، و النّـدم عـلى الكـفر و المعصية، و طلب الرّجوع إلى الدّنيا ليفعلوا الخير ، مع أنّهم فـي المـرّة الثـانية مقهورون على فعل الكفر و المعاصي ، فأيّ فائدة لهم في ذلك ، و قد كان طريق الاعتذار أنّ هذه الأفعال ليست صادرة عنّا باختيارنا ، بل هي من فعل الله تعالى و قضائه ، و لا آختيار لنا فيها ، قال الله تعالى : ﴿وَ هُم يَصطَرِخُونَ فِيها رَبَّنا أخرِجنا نَـعمَل صالِحاً غَـيرَ ٱلَّـذِي كُـنَّا نَـعمَل﴾[1] ﴿رَبَّـنا أخـرِجنا مِـنها فَـإن عُـدنا فَـإنّا ظالِمُونَ﴾[2]﴿قالَ رَبِّ آرجِعُونِ لَعَلِّي أعمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكتُ﴾[3]﴿أو تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذابَ لَو أنَّ لِي كَرَّةً فَأكُونَ مِنَ المُحسِنِينَ﴾[4]

السّابع عشر :

الآيات الدالّة على نكس رؤوس الكفّار و آستحيائهم مـن الله تـعالى ، كقوله: ﴿وَ لَو تَرَى إذِ المُجرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِم عِندَ رَبِّهِم﴾[5] و أيّ موجب لنكس رؤوسهم ، و الحياء اللاّحق بهم ، مع أنّهم غير قادرين على ترك المعصية ، و أنّها من فعل الله تعالى ؟

الثّامن عشر :

القرآن إنّما نزّل حجّةً لله على عباده ، و كذا إرسال الرّسل ، قال الله تعالى : ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعدَ الرُّسُلِ﴾[6] و أيّ حجّةٍ أعظم على الله من حجّة الكفّار ؟ فإنّ لهم أن يقولوا كيف تأمرنا بالإيمان و قد خلقت فينا ضدّه ؟ و إنّه لا

---

(١) سورة فاطر (٣٥) : ٣٧.
(٢) سورة المؤمنون (٢٣) : ١٠٧.
(٣) سورة المؤمنون (٢٣) : ١٠٠.
(٤) سورة الزمر (٣٩) : ٥٨.
(٥) سورة السجدة (٣٢) : ١٢.
(٦) سورة النساء (٤) : ١٦٥.

قدرة لنا عليه ، و لا على أن نقهر مرادك ، و كيف تنهانا عن الكفر و قد خلقته فينا؟ و أيّ عذرٍ لله تعالى عن ذلك ، و ما يكون جوابه تعالى عند الأشاعرة عن هذا الإلزام[1]؟!

و ما أحسن قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لمّا سأله الشّامي ، أ كان مسيرك إلى الشّام بقضاء الله و قدره ؟ فقال عليه السلام : « ويحك ، لعلّك ظننت قضاءً لازماً ، و قدراً حاتماً ؟ و لو كان ذلك كذلك لبطل الثّواب و العقاب ، و سقط الوعد و الوعيد ، إنّ الله سبحانه و تعالى أمر عباده تخييراً ، و نهاهم تحذيراً، و كلّف يسيراً و لم يكلّف عسيراً ، و أعطى على القليل كثيراً ، و لم يعص مغلوباً ، و لم يطع مكرهاً ، و لم يرسل الأنبياء لغواً ، و لم ينزل الكتب للعباد عبثاً ، و لا خلق السّماوات و الأرض و ما بينهما باطلاً ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ »[2]

---

(١) أقول : زاد المؤلّف العلاّمة في بعض مؤلّفاته وجهاً آخر عليها ، و هو الآيات الدالّة على أعتراف الأنبياء عليهم السلام ببعض أفعالهم ، و إضافتها إلى أنفسهم ، كقوله تعالى حكاية عن آدم عليه السلام : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ الأعراف(٧) : ٢٣ ، و عن يونس عليه السلام : ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء(٢١) : ٨٧، و عن موسى عليه السلام : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ القصص(٢٨) : ١٦ ، و قال يعقوب عليه السلام لأولاده : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً﴾ يوسف(١٢) : ١٦ ، و قال يوسف عليه السلام : ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي﴾ يوسف(١٢) : ١٨ ، و قال نوح عليه السلام : ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ هود(١١) : ٤٧ ، فهذه الآيات تدلّ على أعتراف الأنبياء عليهم السلام بكونهم فاعلين لأفعالهم .

(٢) سورة ص (٣٨) : ٢٧ . تمام الرواية كما ذكرها المؤلّف في شرحه على التجريد : ٣٤٢، عن الأصبغ بن نباتة لمّا أنصرف من صفّين فإنّه قام إليه شيخ ، فقال : أخبرنا يا أمير المؤمنين عن

فانظر إلى توبيخه عليه السلام للشّامي و تنذيره بقوله : «ويحك» ، مع أنّها كلمة توبيخ ، حيث ظنّ أنّ القضاء لازم له .

ثمّ إلى قوله : «لو كان قضاءً لازماً لبطل الثّواب و العقاب ، و سقط الوعد و

مسيرنا إلى الشام ، أكان بقضاء الله و قدره ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : و الّذي فلق الحبّة و برىء النّسمة ما وطئنا موطئاً ، و لا هبطنا وادياً ، و لا علونا تلعةً إلاّ بقضاء الله و قدره ، فقال له الشيخ : عند الله أحتسب عنائي ؟ ما أرى لي من الأجر شيئاً ، فقال عليه السلام له : مه ، أيّها الشيخ ، بل عظّم الله أجركم في مسيركم و أنتم سائرون ، و في منصرفكم و أنتم منصرفون ، و لم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، و لا إليها مضطرّين ، فقال الشيخ : كيف ؟ و القضاء و القدر ساقانا ، فقال عليه السلام : ويحك ، لعلّك ظننت قضاءً لازماً و قدراً حتماً ، لو كان كذلك لبطل الثواب و العقاب ، و الوعد و الوعيد ، و الأمر و النهي ، و لم تأت لائمة من الله لمذنب ، و لا محمدة لمحسن ، و لم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء ، و لا المسيء أولى بالذّمّ من المحسن ، تلك مقالة عبدة الأوثان ، و جنود الشيطان ، و شهود الزّور ، و أهل العمى عن الصواب ، و هم قدريّة هذه الأمّة و مجوسها ، إنّ الله تعالى أمر تخييراً ، و نهى تحذيراً ، و كلّف يسيراً ، لم يعص مغلوباً ، و لم يطع مكرهاً ، و لم يرسل الرّسل عبثاً ، و لم يخلق السماوات و الأرض و ما بينهما باطلاً ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ فقال الشيخ : و ما القضاء و القدر الّلذان ما سرنا إلاّ بهما ؟ فقال عليه السلام : هو الأمر من الله تعالى و الحكم ، و تلا قوله تعالى : ﴿ وَ قَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ الإسراء(١٧) : ٢٣ ، فنهض الشيخ مسروراً و هو يقول :

أنت الإمام الّذي نرجو بطاعته	يوم النّشور من الرّحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً	جزاك ربّك عنّا منه إحسانا

رواها الكليني في الكافي ١ : ١٥٥ ، و الصدوق في التوحيد : ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، و عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٣٩ ، و المفيد في الإرشاد ١ : ١٢٠ ، و الحرّاني في تحف العقول : ٤٦٨ ، و الطبرسي في الاحتجاج ١ : ٢٠٨ ، و السيد الرضي في نهج البلاغة : ٤٨١ ، و الكراجكي في كنز الفوائد ١ : ٣٦٣ .

الوعيد» لأنّه يكون ظلماً من الله تعالى ، و الله منزّه عنه ، و كما أنّه يسقط الثّواب و العقاب ، و الوعد و الوعيد على خلق الأجسام و الأعراض آلّتي لايقدر عليها إلاّ الله تعالى ، كذا يجب أن يسقط ذلك على خلق الطّاعة و المعصية الصادرين عن الله تعالى ، و لكن لمّا ثبت الوعد و الوعيد ، و الثّواب و العقاب ، دلّ على بطلان القول بالقضاء اللاّزم .

ثمّ آنظر إلى قوله عليه السلام : «أمر عباده تخييراً ، و نهاهم تحذيراً» و الله تعالى لم يقهر عباده على فعل الطّاعة ، و لا على آجتناب المعصية ، إذ لو كان كذلك لبطل التكليف ، و كان الفعل مستنداً إلى الله تعالى ، بل أمر عباده أن يوقعوا الفعل على آختيارهم و إرادتهم ، فإن فعلوه أثابهم ، و إن تركوه عاقبهم ، و كذا حذّرهم في النّهي إنّهم متى فعلوا المنهيّ عنه عذّبهم .

ثمّ إلى قوله : «و كلّف يسيراً و لم يكلّف عسيراً» و هو مبطل قواعد المجبّرة آلّذين قالوا إنّ الله تعالى كلّف عباده بالمحال و بما لا قدرة لهم عليه ، و أيّ يسر في ذلك ، و أيّ عسر أعظم منه ؟

ثمّ إلى قوله عليه السلام : «و لم يعص مغلوباً ، و لم يطع مكرهاً» فإنّه يبطل قواعدهم أيضاً ، فإنّه لا يلزم من المعصية الصادرة عن العباد ، مع أنّه تعالى لم يردها منهم كونه مغلوباً ، لأنّه تعالى إنّما يكون مغلوباً لو لم يتمكّن من فعل ضدّ إرادتهم ، لكنّه تعالى متمكّن قادر عليه ، و إنّما لم يفعله لأنّه أراد إيقاع الفعل من العبد على جهة الاختيار .

ثمّ آنظر إلى قوله عليه السلام : «و لم يرسل الأنبياء لغواً ، و لم ينزل الكتب للعباد عبثاً ، و لا خلق السّماوات و الأرض و ما بينهما باطلاً» كما قال تعالى فإنّه مبطل لقواعدهم أيضاً ، حيث يقولون إنّه تعالى لا يفعل لغرض ، و لا لمصلحة ، و لا

لحكمة ، و لم يخلق الرّجل للمشي ، و لا اليد للبطش ، و لا اللّسان للنّطق ، إلى غير ذلك من الأعضاء ، و لم يخلق السّماوات و الأرض و ما بينهما لحكمة ، و لا لغاية ، و لا لغرض ألبتّة ، بل خلق جميع ذلك لا لفائدة راجعة إليه ، و لا إلى خلقه، بل لا لفائدة أصلاً ، و هذا بعينه هو العبث و الباطل و اللّعب ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

و سأل أبو حنيفة[1] مولانا الكاظم عليه السلام فقال : المعصية ممّن ؟ فقال عليه السلام : «المعصية إمّا من العبد ، أو من الله تعالى ، أو منهما ، فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل و أنصف من أن يعذّب[2] عبده الضّعيف و يأخذه بما لم يفعله ، و إن كانت المعصية منهما فهو شريكه و القويّ أولى بانصاف عبده الضّعيف ، و إن كانت المعصية من العبد وحده فعليه وقع الأمر ، و إليه توجّه الذّمّ و المدح ، و هو أحقّ بالثّواب و العقاب ، و وجبت له الجنّة و النّار» فقال أبو حنيفة : ذرّيّة بعضها من بعض ، و الله سميع عليم[3] .

---

(١) هو النّعمان بن ثابت الكوفي مولاهم ، ذكره الشّيخ الطوسي في أصحاب الصادق عليه السلام . قال الذّهبي في ميزان الاعتدال : ضعّفه النسائي من جهة حفظه ، و ابن عدي و آخرون . و قال الجصّاص : له فتاوي عجيبة ، منها ما أفتي به من أنّ الرّجل إذا أستأجره أمرأة على الزّنا لم يحدّ، لأنّ الله تعالى سمّى المهر أجراً ، و له قياسات عجيبة ، فقد قال بطهارة الكلب ، و لكنّه ذهب إلى نجاسة لعابه ، قياساً له بنجاسة لحمه بعد موته . و قال الغزالي : فأمّا أبو حنيفة فقد قلّب الشّريعة ظهراً لبطن ، و شوّش مسلكها ، و غيّر نظامها ، و أردف جميع قواعد الشّرع بأصل هدم به شرع محمّد المصطفى صلى الله عليه و آله . و قال ابن الجوزي في جملة كلامه : و بعد هذا فاتّفق الكلّ على طعن فيه ، قلت : و مع ذلك إليه ينتمي المذهب الحنفي ، ولد سنة ٨٠ و توفّي سنة ١٥٠ .

(٢) في «ج» و «ق» و «م» : يظلم .

(٣) رواه الصدوق في الأمالي ٣٣٥ / ٤ ، و التوحيد ٩٦ / ٦ ، عيون أخبار الرضا ١ : ١٣٨ / ٣٧ ، و

(أدلّة الأشاعرة)

آحتجّت الأشاعرة بوجوه :

الأوّل :

إنّ العبد لو كان فاعلاً ، فإن لم يتمكّن من التّرك لزم الجبر ، و إن تمكّن ، فإن لم يفتقر الترجيح إلى مرجّح لزم ترجيح أحد الطرفين المتساويين على الآخر لا لمرجّح و هو محال ، و إن آفتقر ، فذلك المرجّح إن وجب معه الفعل لزم الجبر ، و إلاّ عاد البحث إليه فيتسلسل .

الثّاني :

إنّ الله تعالى إن علم وقوع الفعل وجب وقوعه[1] و إلاّ لزم آنقلاب علم الله تعالى جهلاً و هو محال ، و إن علم عدمه آستحال وقوعه ، و على كلا التقديرين يلزم الجبر .

الثّالث :

إنّ العبد لو كان فاعلاً لكان مع الله تعالى و هو محال .

☞ الحرّاني في تحف العقول : ٤١٢ ، و الطبرسي في الاحتجاج ٢ : ٣٨٨ ، ثمّ قال : و في ذلك يقول الشاعر :

لم تخل أفعالنا اللاّتي نذمّ بها	إحدى ثلاث معان حين نأتيها
إمّا تفرّد بارينا بصنعتها	فيسقط اللّوم عنّا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها ، فيلحقه	ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنايتها	ذنب فما الذّنب إلاّ ذنب جانيها

(١) فإنّه تعالى قد علم في الأزل وقوع ما يقع ، و عدم وقوع ما لا يقع ، و ما علم الله تعالى وقوعه فهو واجب الوقوع ، و ما علم عدمه فهو ممتنع الوقوع ، و هما غير مقدورين للعبد ، فيلزم الجبر .

الرّابع :

إنّ الايمان لو أراده الله تعالى من الكافر لزم عجز الله ، لأنّ الكافر قد وقع مراده و هو الكفر ، و الله تعالى لم يقع مراده و هو الايمان .

(الجواب عن أدلّة الأشاعرة)

و الجواب عن الأوّل من حيث المعارضة ، و من حيث الحلّ :

أمّا المعارضة : فإنّا نورد دليلهم في حقّ الله تعالى و نقول : الله تعالى إذا فعل فعلاً فإن لم يتمكّن من تركه لزم الجبر ، و أن لا يكون الله تعالى مختاراً في أفعاله ، بل يكون موجباً و هو كفر ، لأنّه مذهب الفلاسفة ، و إن تمكّن من التّرك كانت قدرته على الفعل و التّرك واحدة ، فإذا رجّح الفعل فإن لم يفتقر إلى مرجّح لزم ترجيح أحد الطرفين على الآخر لا لمرجّح ، و هو محال عندهم ، و إن آفتقر إلى مرجّح ، فذلك المرجّح إن وجب معه الفعل لزم الجبر ، فيكون الله تعالى موجباً و هو محال ، و إن لم يجب عاد البحث فيه ، فما هو جوابهم عن الله تعالى هو جوابنا عن العبد .

و أمّا الحلّ : فإنّا نقول أوّلاً : إنّه يجب معه الفعل[1] ، قوله : يلزم الجبر . قلنا : لا نسلّم ، فإنّ الفعل هنا يجب بقدرة العبد و إرادته ، و الجبر إنّما يلزم لو وجب لا

---

(١) أي إنّا نختار أنّ المرجّح هو الإرادة و وجوب الفعل من قبلها ، و هذا الوجوب لا ينافي الاختيار و التمكّن من الترك بالنظر إلى نفس القدرة ، بل يحقّقه . لأنّ القادر هو ألّذي يصحّ منه الفعل و الترك قبل الإرادة ، و إن وجب بعد تعلّق الإرادة به فهو واجب بالغير ، و من المقرّر أنّ الشيء ما لم يجب لم يوجد ، و لا شبهة أنّ هذا الوجوب وجوب بالغير . فلو كان منافياً للاختيار لما وُجد قادر مختار أصلاً .

بقدرته و إرادته .

و أمّا ثانياً : فإنّا نقول : إنّه لا يجب معه الفعل[1]، قوله يلزم ترجيح أحد الطرفين المساويين على الآخر لا لمرجّح . قلنا : نمنع تساويهما ، بل يكون الفعل أرجح و إن لم ينته إلى حدّ الوجوب ، و ترجيح الرّاجح ليس بمحال .

و أمّا ثالثاً : فإنّا نمنع أستحالة ترجيح أحد الطرفين المتساويين على الآخر عند القادر لا لمرجّح[2] فإنّ العلم القطعي حاصل بأنّ الجائع إذا قدّم إليه رغيفان متساويان فإنّه يتناول أحدهما من غير أن ينتظر وجود مرجّح؛ و أنّ العطشان إذا وجد ماءين متساويين فإنّه يتناول أحدهما و لا يموت عطشاً إلى أن يحصل له المرجّح ؛ و الهارب من السّبع إذا أعترضه طريقان متساويان فإنّه يسلك أحدهما و لا ينتظر وجود المرجّح .

---

(١) لأنّا نمنع أن يحتاج الفعل إلى مرجّح ملزم ، بل يكفي في صدوره و بقاء الاختيار رجحان الصدور و أولويّة أحدهما على الآخر ، و لا ينتهي الرّجحان إلى الوجوب ، و لو سلّمناه نمنع لزوم الفعل ، لأنّه خلاف الوجدان ، فإنّا نجد أنفسنا معه قادراً و مختاراً في أنتخاب الفعل على الترك أو بالعكس ، فلا يلزم الجبر ، و لا الترجيح بلا مرجّح .

(٢) هذا الوجه من كلام المصنّف يكون إلزاماً للأشاعرة أو أكثرهم حيث جوّزوا من القادر ترجيح أحد مقدوريه على الآخر من غير مرجّح ، لمجرّد الإرادة بلا داع يختصّ بها ، و مثّلوا بما ذكره المصنّف من الأمثلة الوجدانية ؛ و ممّن صرّح بنسبة ذلك إلى الشيخ الأشعري سيف الدّين الأبهري الأشعري في مبحث الحسن و القبح من حاشيته على شرح المختصر ، بل تجاوزوا عن ذلك أيضاً و قالوا بجواز ترجيح المرجوح على الراجح و تفضيل المفضول على الفاضل ، فوضعوا حديثاً في شأن أبي بكر و هو أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : لو وُضع أبو بكر في كفّة ميزان ، و جميع النّاس في كفّة أخرى لترجّحت الكفّة الّتي كان فيها أبو بكر . و لا يلتفت إلى ما نقل عن البهلول في ردّ ذلك من أنّه لو صحّ هذا لكان في ذلك الميزان عيب ألبتّة ، لأنّه كان رافضياً .

و الأصل في ذلك أنّ القادر يفعل بواسطة القصد و الاختيار ، و دعوى الدّاعي إلى الفعل ، و هذا الدّاعي هو علم الفاعل ، أو ظنّه بأنّ ما يفعله خير أو نافع فيه ، و هو يقصد الخير ، فإذا تعدّد طريقه و تساوى الطريقان في حصوله فإنّه يسلك أحدهما من غير مرجّح ، لأنّ مطلوبه يحصل بكلّ واحد من الطريقين ، فالمراد هو القدر المشترك ، و الخصوصيّات لا مدخل لها في قصده ، بل أيّما حصل حصل مقصوده .

و الجواب عن الثّاني من حيث المعارضة و من حيث الحلّ :

أمّا المعارضة : فإنّ دليلهم وارد في حقّ الله تعالى ، لأنّه تعالى إن علم وقوع الفعل عنه ، فإن جاز أن لا يقع لزم تجويز الجهل عليه تعالى ، و إن آمتنع لزم الجبر و آنتفاء قدرة الله ، فيكون الله تعالى موجباً لا مختاراً و ذلك عين الكفر.

و أمّا الحلّ : فنقول : العلم تابع للمعلوم ، و حكاية عنه ، و غير مؤثّر فيه ، و الحكاية قد تتقدّم المحكيّ ، كما تقول : غداً تطلع الشّمس من المشرق ، فإنّه حكاية عن طلوع الشّمس متقدّمة عليه ، و قد تتأخّر عن المحكي ، و لا يلزم منه وجوب المعلوم ، و ذلك لأنّ العلم و المعلوم أمران متطابقان ، و لا علم إلاّ و بإزائه معلوم ، و الأصل في هيئة التّطابق هو المعلوم دون العلم[1] فإذا تعلّق العلم بوجود زيد في الدّار ، فلو لا أن يكون لوجود زيد في الدّار تحقّق إمّا قبل العلم أو بعده أو معه لم يتعلّق العلم به ، فهو تابع غير مؤثّر في المعلوم إيجاباً أو آمتناعاً.

---

(١) إذ لو لم يكن المعلوم لم يكن علم .

تعم إذا فرضت تعلّق العلم به ، فقد فرضت وقوع المعلوم ، لأنّ فرض وقوع أحد المتطابقين يستدعي فرض وقوع الآخر ، فإذا فرضت وقوع المعلوم حصل له وجوب لاحق[1] و كذا إذا فرضت ما يطابقه ، و كما أنّ هذا الوجوب مع فرض وقوع المعلوم لا يؤثّر في الإمكان الذّاتي للمعلوم ، كذا فرض العلم الّذي هو مطابقه ، و لا فرق بين علم الله تعالى في ذلك و علم الواحد منّا ، فإنّا إذا علمنا وجود زيد في الدّار ، لو لم يكن موجوداً لزم أن لا يكون ما فرضناه علماً ، و أنقلاب الحقائق محال ، فيجب أن يكون زيد موجوداً حتّى يمكن تحقّق علمنا به ؛ و كما أنّ وجود زيد في الدّار يكون مستنداً إلى إرادته و قدرته، لا إلى علمنا، كذلك علم الله تعالى غير مؤثّر في المعلوم .

و الجواب عن الثّالث أنّه خطأ ، فإنّ الشّركة إنّما تتحقّق لو قلنا إنّ العبد قادر لذاته على جميع الأشياء ، غير مغلوب في شيء ممّا يريده ، و أمّا إذا قلنا إنّ الله تعالى قد منحه قدرةً و إرادةً باعتبارهما يؤثّر في بعض الأفعال ، و إنّ الله قادر على تعجيزه و قهره و سلب قدرته و إرادته، فإنّه لا يلزم أن يكون شريكاً لله تعالى .

و الجواب عن الرّابع أنّ العجز إنّما يلزم لو لم يقدر الله تعالى على قهر الكافر على الايمان ، أمّا على تقدير أن يقدر الله على قهره عليه و إجباره فإنّه لا يكون عجزاً ، لكنّ الله لا يريد منه إيقاع الايمان كرهاً ، بل على سبيل الاختيار ، لئلاّ يقبح التكليف منه تعالى ، فأيّ عجز يتحقّق حينئذٍ إذا لم يؤمن العبد باختياره ؟

---

(١) حصل الوجوب باعتبار فرض وقوع الممكن ، فإنّ كلّ ممكن على الإطلاق إذا فرض موجوداً فإنّه حالة وجوده يمتنع عدمه ، لامتناع أجتماع النقيضين ، و إذا كان ممتنع العدم كان واجباً ، مع أنّه ممكن بالنظر إلى ذاته .

فإنّ السّلطان إذا أمر وزيره أن يفعل فعلاً يكون الوزير فيه مختاراً لا مجبراً، بل فوّض السّلطان إليه الاختيار، فإنّه إذا لم يختر فعله لم ينسب السّلطان إلى العجز. نعم لو أراد السّلطان منه الفعل كيف كان، سواء كان باختيار الوزير، أو بغير اختياره، فإذا لم يفعل الوزير الفعل ثبت العجز هنا، و الفرق بين الصورتين ثابت.

و هذا آخر ما أوردناه في هذه الرّسالة الشّريفة

و الله الموفّق للصّواب

و إليه المرجع

و المآب



❀❀❀

الفرق بين
كلام النبي وقول الوصي

تحرير

جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي
بن المطهّر الحلّي المشهور بالعلاّمة الحلّي
المتوفى ٧٢٦ هـ

تحقيق

السيّد محمّد الحسيني النيسابوري



مختصر
ترجمة خواجه رشيد

هو الخواجه رشيد الدّين فضل الله بن عماد الدّولة أبي الخير بن موفّق الدّولة علي (أو عالي أو غالي) الطبيب الهمداني الشهيد . ولد في مدينة همدان سنة ٦٤٥ هـ، تلمّذ في العلوم على الخواجه نصير الدّين الطوسي مع زميله ابن الفوطي، و يعبّر ابن الفوطي عن المترجم له في «مجمع الآداب» بشيخنا المخدوم الأعظم .

و كان جدّه الأعلى موفّق الدّولة علي مع الحكيم و المنجّم المعروف خواجه نصير الدّين الطوسي في «قلعة الموت» ضيفاً إجبارياً للفدائيّين الإسماعيليّة إلى أن فتحها هلاكو خان ، فدخل موفّق الدولة في خدمة السلطان .

قد أتعب نفسه في تعلّم الخطّ و الإنشاء و الأدب و الفنون الشعريّة و الطبّ و التاريخ و الفلسفة و الفقه و التفسير و الرياضيّات ، فحصل كنزاً لا ينفد .

و في أيّام سلطنة اباقا خان خدمه رشيد الدّين بطبّه و أحرز عنوان الطبيب الخاص للملك ، و في سنة ٧٠٣ هـ عندما وجّه غازان خان عسكراً إلى الشّام صحبه و هو منشيه العربي ، ثمّ آستوزره .

و بعد موت السلطان غازان خان بن ارغون خان بن هلاكو سابع ملوك الإيلخانيّة (٦٩٦ ـ ٧٠٣ هـ) و جلوس أخيه محمّد بن ارغون المعروف بشاه خدابنده (٧٠٣ـ ٧١٦) ابقي في مناصبه السّابقة ، و لمّا وجد خدابنده فيه دراية خاصّة و كفاية تامّة في حسن إدارة الأمور ، فكان لم يقدم على شيء من أمور المملكة قبل تصويب الخواجة .

شهادته

فانصرمت الليالي و الأيّام حتّى مرض الشاه خدابنده مرضه آلّذي آشترك رشيد الدّولة في علاجه فمات ، فاتّهموه أهل الحقد حسداً عليه بالتّساهل في معالجته و تسبّب موته ، ثمّ قتلوه و آبنه إبراهيم آلّذي لم يجاوز سنّه ستّة عشر سنة بأمر السّلطان أبي سعيد ابن غياث الدّين شاه خدابنده تاسع ملوك الإيلخانيّة و آخرهم (٧١٦ـ٧٣٦) و إعانة وزيره علي شاه بن أبي بكر التبريزي فضبطوا تمام أمواله و نهبوا الرّبع الرشيدي ، و أحرقوا مكتبته آلّتي تحتوي على ستّين ألف مجلّد من صنوف الكتب ، فوا أسفاً و يا حسرةً عليها.

و قال ابن حجر و ابن كثير المشهوران في النصب و العداوة للشّيعة : كان أبوه عطّاراً يهوديّاً ، فأسلم هو و آتّصل بغازان فخدمه ، و قال : و له تفسير على القرآن فسّره على طريقة الفلاسفة ، فنسب إلى الإلحاد ، ثمّ قال فصلوا أعضاءه و بعثوا إلى كلّ بلد بعضو و أخروا بقيّة جسده و حمل رأسه إلى تبريز و نودي عليه: هذا رأس اليهودي الملحد ، و عاش نيّفاً و سبعين و نحو الثمانين ؛ و مثله قال خير الدّين الزركلي في الأعلام .

أقول : لكن يرشدنا التواريخ و السير و نفس تأليفات خواجه رشيد إلى الحقائق ، و أنّ أصل إسلامه مسلّم بلا شكّ و ريب ، بل يمكن أن نقول بتشيّعه ،

خصوصاً بملاحظة آختيار السّلطان خدابنده مذهب التشيّع بعد إحضار العلاّمة الحلّي من الحلّة و حلّ معضله و تفوّقه على علماء العامّة في مناظرة ذكرنا ملخّصها في ترجمته أوّل الكتاب ، و كانوا يعظّمون السّادات و مشاهد الأئمّة الأطهار ، و خصوصاً بملاحظة ما قيل من أنّه أي رشيد الدّين أشار إلى السّلطان بتأسيس مدرسة سيّارة للعلاّمة و تلاميذه سرت أينما سرى موكب السلطان ، فترى في زمان هذا السلطان و هذا الوزير ضرب السكّة و الخطبة بأسامي الأئمّة الاثني عشر ، و نقش أسمائهم السّامية على رؤوس أبواب المساجد و الخانات الباقية آثارها إلى الآن في مدينة إصفهان و غيرها ، فحيّ الشيعة حياة طيّبة و تنفّس أبناؤه تنفسّ من حلّت حبائل الرّقيّة من رقبته ، فكانوا مرخّصين في إظهار عقائدهم و نشر كتبهم .

و قد أثنى العلاّمة عليه ـ أي خواجه رشيد ـ في أوّل هاتين الرّسالتين ثناءً بليغاً يحكي عظمته ، فراجع .

و يؤيّده ما قال ابن حجر في الدّرر الكامنة في ترجمة السلطان خدابنده : كان جميل الوجه إلاّ أنّه أعور ، و كان حسن الإسلام لكن لعبت بعقله الإماميّة فترفض و أسقط من الخطبة في بلادنا ذكر الأئمّة إلاّ عليّاً ، و كان جواداً سمحاً .

و قال السيّد الخوانساري : حتّى أنّ في بعض تواريخ العامّة رأيت التعبير عن هذه الحكاية بمثل هذه الصورة :

و من سوانح سنة سبع و سبعمائة إظهار خدابنده شعار التشيّع بإضلال ابن المطهّر . و أنت خبير بأنّ مثل هذا الكلام المنطوق صدر من أيّ قلب محروق و

الحمد لله(١).

هذا ملخّص من حياته السياسيّة ، و السياسة لاتعرف أباً و لا أمّاً فإنّ الملك عقيم ، فلا يلبث آسم أصحاب السياسة أن يضيع في طيّات الزمن و يختفي في أغوار الدّهر .

حياته الثّقافيّة

أمّا الآن لا بأس أن نشير إلى حياته الثقافيّ آلّتي أكسبت رشيد الدّين الخلود و جعلته من أحياء الذكر على طول الدّهر .

فإنّه كان من أفاضل الأدباء و الأطبّاء و الوزراء في أوائل القرن الثامن الهجري . و كان طبيعيّاً ماهراً في الفلسفة و الرّياضيّات .

قال المستشرق الفرنسي «كاترمير» في مقدمة جامع التواريخ : إذا غضضنا النظر عن الطّبّ آلّذي أقبل رشيد الدّين على تعلّمه منذ زمن مبكّر ، و عن شتّى فروع المعرفة الأُخرى آلّتي ترتبط بهذا العلم برباط مباشر ، وجدنا أنّه أيضاً لم يهمل دراسة الزّراعة و الهندسة و الميتافيزيقا و اللاّهوت .

و يقول عنه أيضاً : كان مولعاً بالمعرفة أشدّ الولع ، فاستطاع رغم كلّ هذه المشاغل و الموانع أن يجد لنفسه الوسيلة لمعالجة الآداب و العلوم ، و الإحاطة بالدّين الإسلامي إلى أعمق حدّ ، و كان يحيط إحاطة تامّة بكثير من اللغات و هي الفارسيّة و العربيّة و المغوليّة و التركيّة و العبريّة و ربّما الصينيّة ؛ و لو لم تشغله السياسة و لم يغرّه الحكم ، لكان له من الشّأن فوق آلّذي كان(٢).

و كيف لايكون من أحياء الذّكر و له من التأليفات مثل «التوضيحات» و

---

(١) روضات الجنّات ٢ : ٢٨١.   (٢) أعيان الشيعة ٨ : ٤٠٢.

«الجزء آلّذي لايتجزّى» في جواب سؤال فخر المحقّقين ولد العلاّمة و «جوابات المسائل الكلاميّة» سأل عنها فخر المحقّقين المذكور، و عضد الدّين المطرزي، و نجم الدّين الزركوب، و نجم الدّين الدامغاني و غيرهم و «تفسير القرآن» المعروف بتفسير الرشيدي كان يحتوي على كثير من مسائل علم التفسير، و عليه مأتا تقريظ من العلماء بل أكثر، و «تاريخ غازاني» و غيرها إلى آثنين و خمسين تصنيفاً كان النّاس يدرسون فيها.

آثاره الخيريّة

و كان رشيد الدّين من الرّجال الخيّرين، فاغتنم الفرصة و قام بكثير من أعمال البرّ في تبريز و يزد و غيرها كالخوانك[1] و المدارس، و غيرها؛ و قلعة رشيديّة تبريز الموصوف بـ«ربع رشيدي» آلّتي كانت في شمالي شرقي البلد ذيل جبل «سرخاب» المعروف بـ«عينعلي» و أهالي المحلّ يسمّونها «رشيديّة» من جملة آثاره الخيريّة آلّتي بنى فيها قريب ألف بيت و مسجداً كبيراً و مدرسة و بيمارستاناً و غيرها من سائر أبنية الخيريّة، صرفت في تأسيسها أموالاً كثيرة، و عيّن لها موقوفات جزيلة، و أنشأ فيها مكتبة حافلة تشتمل ستّين ألف مجلّد من أضناف الكتب و أنواعها في العلوم المختلفة. منها ألف مجلّد من كلام الله المجيد آستكتبها و وقفها، أربعمائة منها كتبت بماء الذّهب، ستّة بخطّ ياقوت المستعصمي، و عشرون منها بخطوط أُخرى من أكابر الخطّاطين.

و بالجملة كان حريصاً أشدّ الحرص على حفظ مؤلّفاته و وصولها إلى أقصى نقاط العالم، و لعلّه كان يعلم ما يمكن أن يكون عليه، فاستكتب عدّة

---

(١) الخوانك جمع خانكاه.

نسخ من كتبه بالفارسيّة و العربيّة ، كما آستكتب أيضاً مجلّداً ضخماً ضمّ كلّ مؤلّفاته بالفارسيّة و العربيّة و أودعه في البناء الكبير آلّذي شاده في الرّبع الرشيدي ليكون مدفناً له ، ثمّ توسّع دائرة الاحتياط فوقف قسماً من ثروته لكتابة نسخة بالفارسيّة و نسخة بالعربيّة في كلّ عام من مجموع مؤلّفاته لترسل إلى مدن الإسلام ، و هي مكتوبة في وصيّته المطبوعة ، فراجع .

لكن مع الأسف ، كلّ ذلك الحذر لم يفده حتّى الرّبع الرّشيدي آلّذي يطمئنّ إلى حفظ كتبه فيه ، و ضاع ما ضاع من مؤلّفاته ، و لعلّ هذا الحرص منه أبقى لنا تاريخه فإنّه لمّا نكب و قتل كان من أفجع الفجائع إحراق تلك المكتبة بجميع ما فيها من الكتب ، فيا لها من حسرات على قلوب مجروحة ، فكم من كتب لم يصلنا إلاّ أساميها ، و لعلّها كانت في مكتبة الرّبع الرّشيدي فذهبت كلّها طعمةً للنّار ، و يكفيك أن نذكر منها بعض كتب العلاّمة ، و جميع كتب ابن الفوطي ، و كتب المترجم له، و غيرهم آلّذين يبلغ عددهم إلى المآت بل الألوف .

فقال الميرزا محمّد علي المدرّس في ريحانة الأدب : إنّ في زماننا هذا لا يبقى من قلعة رشيدي و كتبها و موقوفاتها أثر[١] .

و قد ترجمه العسقلاني في الدرر الكامنة[٢] ، و ابن كثير في البداية و النهاية قالا : كان متواضعاً ، سخيّاً ، كثير البذل للعلماء و الصلحاء ؛ و كان يناصح المسلمين ، و يذبّ عنهم ، و يسعى في حقن دمائهم .

و قال البرزالي في ترجمته : كان حسن البراعة و طبيب صادق في القناعة.

قال الذهبي : كان له رأي و دهاء و مروءة ، و كان الشيخ تاج الدّين

---

(١) ريحانة الأدب ٧: ٣٣٧ ـ ٣٤٠.   (٢) الدرر الكامنة ٣: ٣١٤.

الأفضلي يذمّه بدين الأوائل و قدر عليه فصفح عنه ، و في الجملة فكانت له مكارم و شفقة و بذل و تودّد لأهل الخير ، و عاش بضعاً و سبعين سنة .

تأليفاته

و أمّا تأليفاته و آثاره القيّمة كما قال صاحب الذّريعة تبلغ اثنين و خمسين تصنيفاً كان النّاس يدرسون فيها[١]، قال ابن حجر: و قد أُحرقت تآليفه بعد قتله[٢]. و قال الزركلي : احرقت كتبه بعد قتله و بقي منها «جامع التواريخ» أربع مجلّدات بالعربيّة و الفارسيّة ، طبعت النسخة الفارسيّة منه باسم «تاريخ غازاني»[٣].

فممّا عدّوه أرباب التراجم له :

١ـ الآثار و الاحياء .

٢ـ تاريخ غازاني أو «جامع التواريخ» و يقولون تخفيفاً : «جامع رشيدي» و هو من آثاره المفيدة شرح فيه من أوّل سلطنة جنكيز خان (٥٩٩ـ٦٢٤) إلى زمان الشاه خدابنده (٧٠٣ـ٧١٦) طبع في ثلاث مجلّدات .

٣ـ تفسير القرآن المعروف بـ «التفسير الرشيدي» يشتمل على كثير من مباحث علم التفسير و عليه تقريظ أكثر من مأتي عالم .

٤ـ تقسيم الموجودات .

٥ـ التوضيحات .

٦ـ الجزء الّذي لايتجزّى ، كتبه في جواب سؤال فخر المحقّقين ولد العلاّمة الحلّي و أثبت فيه الجزء الّذي لايتجزّى و هو مادّة تركّب الأجسام عند المتكلّمين ، و في مطاويه أحال إلى كتبه التوضيحات و مفتاح التفاسير و

---

(١) طبقات الشيعة ٣: ١٦٠ .
(٢) الدرر الكامنة ٢: ٢١٤ .
(٣) الأعلام ٥: ٣٥٩ .

غيرهما.

٧ـ جوابات المسائل الكلاميّة.

٨ـ ديوان شعره، و من أشعاره:

پيريم، ولى چو بخت دمساز آيد

هنگامِ وصال و طرب و ناز آيد

از زلف درازِ تو كمندى فكنيم

بر گردنِ عمرِ رفته تا باز آيد

١١ـ مفتاح التفاسير، و الظاهر أنّه كان غير تفسيره المذكور سابقاً.

١٢ـ لطايف الحقايق.

١٣ـ بيان الحقايق.

١٤ـ الرّسالة السّلطانيّة.

١٥ـ ترجمة تورات. أقول و لعلّ هذا الكتاب أوقع ابن حجر و غيره في الشّك فقالوا: كان يهوديّاً، و لايخفى أنّه قاصر عن إثبات ذلك و دونه خرط القتاد، فإنّ في علمائنا كثيراً ممّن ترجم كتب الشرائع السّابقة، و هذا حيدر قلي خان سردار الكابلي ترجم الإنجيل و هو من العلماء الأفاضل.

١٦ـ الوقفيّة الرّشيدي، طبع باسم وصيتنامه رشيدي.

١٧ـ نسبنامه ملوك.

١٨ـ شرح المختصر النّافع، نسب هذه الثلاثة إليه في الذّريعة.

هذا آخر ما أردت ذكره عاجلاً في ترجمة الرّجل و من شاء التفصيل فعليه بالرجوع إلى:

روضة الصفاء ـ الدرر الكامنة ـ البداية و النهاية ـ شذرات الذّهب ـ مجمع الآداب ـ تاريخ البرزالي ـ تاريخ الذّهبي ـ الأعلام للزركلي ـ أعيان الشيعة ـ ريحانة الأدب ـ طبقات أعلام الشيعة ـ تاريخ العراق ـ السلوك للمقريزي ـ مجمع الفصحاء ـ مقدّمة جامع التواريخ الرشيدي و غيرها من التواريخ و التراجم.

الرّسالة و نسخها

هذه الرّسالة جواب ثلاث مسائل سئل عنها خواجه رشيد الدّين فأجاب عنها في مجلسٍ حضره العلاّمة الحلّي و هو في السّلطانيّة مركز حكومة الايلخانيّة الواقعة في مدينة تبريز ، فاستحسن العلاّمة الجواب و حرّرها كما قال في مقدّمة الرّسالة الأُولى و الثانية.

و قمت أنا بتحقيقها معتمداً على النّسخ الموجودة منها في زوايا المكتبات ، فصوّرتها و قابلتها معاً و قوّمت نصّها ، و هي ثلاثة نسخ حسب ما هدانا إليه فهارس المكتبات :

١ـ نسخة منها في مكتبة جامع گوهرشاد ضمن مجموعة فيها آستقصاء النّظر ، و هذه الرّسالة للعلاّمة الحلّي آنتسخها خليل الله بن محمّد إبراهيم الحسيني في شهر شوّال سنة ١٠٧٧ عن نسخة كتبت سنة ٧١٢ و بلغ عرضاً و قبالاً بنسخة الأصل آلّتي بخطّ المصنّف ، فصوّرتها و آستفدت منها ، و وجدت فرقاً بين هذه النسخة و النسخ الأُخرى و هو آشتمال هذه النّسخة على ثلاثة مسائل دون غيرها ، فالمسألة الثالثة في الرّسالة من تلك النّسخة فقط .

٢ـ نسخة في المكتبة النّاصريّة في لكهنو من مدن الهند تحت رقم ٧١٦ ، كتبها فصيح أصخاني و كتابتها تعود إلى القرن التاسع فصوّرها الأخ العطاردي و

نشرها في مجلّة «فرهنگ ایران زمین» ١٩ : ١٠٧ و منها مصوّرة في مكتبة جامعة طهران تحت رقم ٦٩٢٦.

٣ـ نسخة ضمن مجموعة في مكتبة الاستاذ محمود الشهابي الخراساني المرحوم استاذ جامعة طهران و هي قريبة من نسخة المكتبة الناصريّة.

هذا تمام الكلام و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

اللّهمّ اغفر لي و لوالديّ يوم يقوم

الحساب



شهر رمضان سنة ١٤١١ هـ

السيّد محمّد الحسيني

النيشابوري



يقول العبد الفقير إلى الله تعالى حسن بن يوسف المطهّر : أمّا بعد حمد الله على سوابغ نعمائه ، و الشكر على جزيل آلائه ، حمداً يقصر العادّون عن إحصائه ، و شكراً يعجز العابدون عن أدائه ، و الصلاة على سيّد أنبيائه محمّد المصطفى و المعصومين من أبنائه .

فإنّني لمّا أُمرت بالحضور بين يدي الدرگاه المعظّمة الممجّدة الايلخانيّة ـ ثبّت الله سلطانها ، و شيّد[1] أركانها ، و أعلى على الفرقدين شأنها ، و أمدّها بالدّوام و الخلود إلى اليوم[2] الموعود ، و كبّت كلّ عدوّ لها و حسود ـ وجدت الدّولة القاهرة مزيّنةً بالمولى الأعظم ، و الصاحب الكبير ، المخدوم المعظّم ، مربّي[3] العلماء ، و مقتدى الفضلاء ، أفضل المحقّقين ، رئيس المدقّقين ، صاحب النظر الثاقب ، و الحدس الصائب ، أوحد الزمان ، المخصوص بعناية الرّحمن ، المتميّز عن غيره من نوع الإنسان ، ترجمان القرآن ، الجامع لكمالات

---

(١) في «ل» : شدّ .

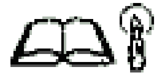
(٢) في «ل» و «ش» : يوم .

(٣) في النسختين : مؤلى .

النفس ، المترقّي بكماله إلى حظيرة القدس[١]، ينبوع الحكمة العلميّة ، و موضع أسرار العلوم الربّانيّة ، موضّح المشكلات ، و مظهر النّكت الغامضات ، و زين[٢] الممالك شرقاً و غرباً ، و بعداً و قرباً «خواجه رشيد الملّة و الحقّ و الدّين» أعزّ الله أنصاره ، و ضاعف اقتداره ، و أيّده بالألطاف ، و أمدّه بالأسعاف ، فوجدت فضله بحراً لايساحل ، و علمه لايقاس و لايماثل .

و حضرت في بعض الليالي في خدمته للاستفادة من نتائج قريحته ، فسئل في تلك الليلة سؤالين مشكلين ، و بحثين معضلين ، يتعلّق أحدهما بالجمع بين كلام النبي و قول الوصي عليهما أفضل الصلوات و أكمل التحيّات ، و يتعلّق الآخر بالجمع بين آيتين من الكتاب العزيز ، فأجاد في الجواب عنهما ، و أحسن مقاله ، و أعرب في الإبانة عنهما أدام الله إفضاله .

و قد أوردت في هذه الرسالة تقرير مابيّنه من المقالة ، و الله الموفّق للصواب .



(١) حَظيرة القُدس : الجنّة .

(٢) في الأصل : تزيّن ، في «ش» : وزير .

المسألة الأولى

في الجمع بين كلامي النبي والوصي عليهما السلام

إنّه من المعلوم القطعي أنّ الحكمة الربّانيّة ٱقتضت أن تكون رتبة النبي صلى الله عليه وآله أعلى من رتبة وصيّه و أشرف، و كماله أكثر[1] و أوفر، إذا تقرّر هذا، ورد الإشكال في قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ٱزددت يقيناً» فإنّه يقتضي بلوغه في الكمال إلى الغاية ٱلّتي لا مزيد عليها

و في قوله تعالى حيث أمر نبيّه صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2] فإنّه يقتضي طلب الزيادة في[3] العلم الحاصل له، و طلب الحاصل محال، فيكون حالة السؤال فاقد الكمال المطلوب[4]، فتكون مرتبة الوصي عليه السلام أعلى من مرتبة النبي صلى الله عليه وآله و هو ضدّ الحكمة.

فأجاب الإمام المفضال، و ٱبتدأ في المقال، و قال: هذا الجواب يتوقّف

---

(١) في الأصل: أكبر.

(٢) سورة طه (٢٠): ١١٤.

(٣) سقط من الأصل: في.

(٤) في الأصل: فاقداً لكمال مطلوب.

على مقدّمات[١]:

المقدّمة الأُولى

في آستعداد النّفس لحصول اليقين

و تحقيقه أنّ النّفس الإنسانية خلقت خالية من جميع العلوم و المعارف الضروريّة و الكسبيّة، للعلم الضروري بأنّ أنفس الأطفال في مبدء خلقهم خالية عن الجميع، و لا شكّ في أنّها قابلة لها، لأنّ حصول العلوم الضروريّة و الكسبيّة بعد الاستعداد التّام لها ضروريٌّ، و لو لا القبول لما حصل لها ذلك، فإنّ كلّ حاصل بعد أن لم يكن لابدّ و أن يسبقه إمكان حصوله. فإنّ القسمة العقليّة في الجهات لا تخلو من ثلاثة: الوجوب، و الامتناع، و الإمكان، و الوجوب الذاتي ليس حاصلاً لها قطعاً، و لا الامتناع الذاتي، فلم يبق إلّا الإمكان الذاتي، و لها بعد الإمكان الذاتي إمكان آخر آستعدادي، قابل للشدّة و الضعف، إذ الأوّل غير كافٍ في تحصيل الفيض من واهب الصور تعالى و تقدّس، بل لابدّ من هذا الاستعداد، فإذا تمّ و تكامل أفاض الله تعالى الصورة الموهوبة منه تعالى لقابلها، كما أنّ الصورة الإنسانيّة الحادثة[٢] تفتقر إلى آستعداد قبول جسم خاص لا كلّ جسم، بل جسم معيّن و هو النطفة لها، ثمّ إنّ النطفة كلّما آزدادت قرباً من الصورة الإنسانيّة آزدادت آستعداداً، و هناك مراتب متعدّدة في المسافة المتوهّمة بين مبدأ الخلقة و منتهاها، إذا وصل الاستعداد إلى مرتبة منها آستعدّ بواسطة ذلك الاستعداد لمرتبة أُخرى، و هكذا إلى أن يحصل كمال الصورة، و

---

(١) في الأصل: مقدّماته.

(٢) في «ل»: المادّية.

على هذا القياس في الصور و الأعراض الحادثة(١)

المقدّمة الثانية

في كيفيّة حصول اليقين

قد عرفت فيما تقدّم أنّ النّفس مستعدّة لقبول فيضان العلوم الضروريّة و الكسبيّة ، و أنّ كلّ حادث لابدّ له من آستعداد سابق ، و لا شكّ أنّ الله تعالى و تقدّس حيث خلق النّفس البشريّة ناقصةً ، لعدم قبولها للصور العقليّة على سبيل الإبداع فيها ، بل على سبيل الصنع ، وجب آستناد الاستعدادات المختلفة المراتب إلى أسباب تحدث فيها ، فخلق الله تعالى البدن و جعل النّفس متعلّقة به تعلّق العاشق بمعشوقه لتستكمل(٢) بواسطته في قوى العلم و العمل ، و خلق سبحانه و تعالى بحسب لطف عنايته في البدن قوى مخصوصة جسمانيّة ، درّاكة للصور و المعاني ، و حافظة لهما بعد الغيبوبة ، فتدرك النّفس في مبدأ الفطرة بواسطة القوى الحسّاسة أصناف المحسوسات إدراكاً غير تامّ ، و لهذا لايفرق الطفل بين أمّه و غيرها في آبتداء الخلقة ، فإذا تكرّر منه الإحساس للأشخاص فرق بين أُمّه و غيرها، و كذا باقي المحسوسات ، فإدراك المحسوسات بواسطة الحواس ، و إدراك العلوم الضروريّة الكلّيّة بواسطة الإحساس بالأمور الجزئيّة، لأنّ الاستعداد للعلوم الضروريّة يحصل بواسطة إدراك الجزئيّات ، فإنّ النّفس إذا أدركت زيداً و عمراً و فرساً و حجراً و سواداً ، و تكرّرت الإحساس بذلك مرّة بعد أُخرى ، حصل له آستعداد إدراك مشاركة بين زيد و عمرو ليست بينهما

---

(١) في «ل» : المادية .

(٢) في «ل» :و آستكمل ، في «ش» : يستكمل .

و بين الفرس ، و إدراك مباينة بينهما و بين الفرس ، (ثمّ تدرك مشاركة بين الثلاثة و مباينة بينها و بين الحجر) ثمّ تدرك مشاركة أُخرى بين الأربعة (و مباينة بينها)[1] و بين السواد ؛ فإدراك هذه المشاركات و المباينات إدراك لأُمور كلّيّة ، غير مكتسبة بالدّليل ، بل موهوبة[2] من الله تعالى بواسطة الاستعداد الحاصل من إدراك الجزئيّات المحسوسة .

ثمّ إنّ النّفس بواسطة العلوم الضروريّة تستعدّ لاكتساب العلوم النّظريّة ، فتحصل لها من واهب الصور بواسطة تركيب المقدّمات الضروريّة ؛ و لهذه القوى بحسب المراتب أسماء خاصّة :

فأُولى المراتب ، و هي حالة خلوّ النّفس عن جميع العلوم الضروريّة و الكسبيّة ، تسمّى «عقلاً هيولانيّاً» .

و ثانية المراتب ، و هي حالة حصول العلوم الضروريّة ، تسمّى «عقلاً بالملكة» .

و ثالثة المراتب ، و هي حالة حصول العلوم النظريّة ، تسمّى «عقلاً بالفعل» .

و رابعة المراتب ، و هي كون النّفس بحيث يمكنها استحضار العلوم النظريّة[3] متى شاءت ، تسمّى «عقلاً مستفاداً» .

المقدّمة الثالثة

في ماهيّة اليقين

---

(١) مابين القوسات ساقط في الأصل. (٢) في «ل» : هو معرفة .

(٣) في النسختين : الضروريّة ، تصحيف .

العلم إمّا تصوّر، و هو عبارة عن حصول صورة الشيء في العقل مطلقاً من غير حكم بنفي أو إثبات، و ذلك لا يدخله اليقين و مقابله، و لا الصواب و مقابله.

و إمّا تصديق، و هو الحكم بمتصوّر على آخر إمّا بالنفي أو الإثبات؛ و هذا الحكم آعتقاد تفعله النّفس عند وجود سببه، و هو إمّا تصوّر الطرفين لا غير، و هذا النوع أقوى أنواع اليقين، و هي «الأوّليّات»[١] كالحكم بأنّ النفي و الإثبات لا يجتمعان، و أنّ الكلّ أعظم من الجزء، و أنّ الأشياء المساوية لشيء واحد[٢] متساوية.

و إمّا الاستعانة بالحواس، إمّا الظاهرة و هي «المحسوسات» كالحكم بأنّ النّار حارّة، و الشمس مضيئة، و العسل حلو؛ أو[٣] الباطنة، و هي «الوجدانيات»، كالحكم بالجوع، و الشبع، و اللذّة، و غيرها من قوى الحسّ الباطن.

و إمّا الاستعانة بتكرّر الإحساس بوقوع[٤] أمر عند غيره إلى أن يحصل الجزم بكونه سبباً، إمّا مع جهل السبب[٥] بل تعتقد النّفس أنّه لو لا آشتمال المقارن على علّيّة مّا[٦] لم يكن دائماً، و لا أكثريّاً، و هي «المجرّبات»، كالحكم بأنّ السّقمونيا مسهل للصفراء.

أو مع علم السبب، و هي «الحدسيّات»، كالحكم بأنّ نور القمر مستفاد من الشمس، حيث أدركت النّفس آختلاف التشكّلات بحسب آختلاف هيئات

---

(١) و تسمّى أيضاً البديهيّات.

(٢) في «ش» زيادة: بعينه.

(٣) في «م»: و امّا.

(٤) في الأصل: لوقوع.

(٥) أي جهل السبب ماهيّةً، و إلاّ فهو معلوم السببيّة، بخلاف الحدسيّات فإنّ السبب فيها معلوم بالاعتبارين.

(٦) في النسختين الآخرتين: علّته، تصحيف.

الأوضاع على مناهج مضبوطة .

و إمّا الاستعانة بكثرة الإخبارات الواردة إلى النّفس بحيث تحصل طمأنينة النّفس بوقوع المخبربه ، و هي «المتواترات» ، كحكمنا بوجود مكّة ، و محمّد ﷺ و ليس للإخبارات عدد محصور، خلافاً لقوم غير محقّقين ، بل الضابط حصول اليقين عند الإخبارات و عدمه ، فاليقين هو القاضي بتواتر[١] الشهادات ، لا عدد الشهادات .

و هذه القضايا الستّ هي «الضروريّات» .

و النافع منها الأُولى لا غير ، لأنّ البواقي لايجب الاشتراك في أسبابها ، فلايصحّ أن تقع حجّة على الخصم ، و هذه لاتقبل التشكيك و لا التردّد ، بل متى أخطر الذهن الحكم حكمت النّفس بنسبة أحد طرفي القضيّة إلى الآخر إيجاباً أو سلباً .

و إمّا الاستعانة بوسط يقع بين طرفي المطلوب يقتضي نسبة أحدهما إلى الآخر ، و هي «العلوم النظريّة» و في هذا القسم يقع التفاوت بالشدّة و الضعف ، و الوثاقة و عدمها ، فإنّ حكم النّفس كما يكون قطعيّاً يكون ظنّياً ، و لهذا الظنّ مراتب متعدّدة متفاوتة بحيث[٢] توجب كثرة الظنّ و قلّته ، و له طرفان : الجزم المطابق الثابت[٣] و هو العلم ، و الجهل ؛ و هذا النوع من الاعتقاد يقبل التفاوت و الزيادة و النقصان ؛ و اليقين يطلق على العلم الشامل للضروري و الكسبي .

---

(١) في الأصل : بقوافي ، في الآخرتين : بقوام ، و الصحيح ما أثبتناه .

(٢) في النسختين الآخرتين : بحسب ما .

(٣) فخرج بالجزم الظن، و بالمطابق الجهل المركّب، و بالثابت التقليد.

المقدّمة الرابعة

في أنّ المانع من التعقّل هو المادّة

آلّذي آستقرّ عليه رأي الفلاسفة أنّ المادّة مانعة من التعقّل ، أمّا أوّلاً ، فلأنّ المادّة ذات وضعٍ ، و التعقّل إنّما هو للصور الكلّيّة ، و لا حلول للكلّي غير[1] ذي الوضع في الجزئي ذي الوضع ، و إلّا لكان له وضع مع فرض تجرّده ، و هذا خلف.

و أمّا ثانياً ، فلأنّ التعقّل هو الحصول ، و الحاصل في المادّة ليس حاصلاً لنفسه بل لغيره فلايكون عاقلاً لنفسه . إنّما يحصل التعقّل للأُمور المتعالية عن الموادّ و الأوضاع ، و تلك هي «المجرّدات» كـالعقول و النّـفوس الفـلكيّة و الإنسانيّة .

المقدّمة الخامسة

في آختلاف النّفوس البشريّة في الذكاء

التجربة و الزمان[2] متطابقان عليه ، فإنّا نجد في أشخاص النّوع الإنساني من بلغ في البلادة و جمود الذهن إلى حدٍّ يعجز عـن إدراك أظـهر الأشـياء و أوضحها ، و نجد فيهم من بلغ فـي الذكـاء و الفـطنة إلى آسـتخراج المـطالب بالحدس الصائب . فليس ببعيدٍ حصول مرتبةٍ ـ هي أشرف المراتب في جميع المطالب و هي مرتبة النّفس القدسيّة المسمّاة بالعقل المستفاد ـ لبعض أشخاص البشر ، و هم المؤيّدون من الله تعالى بجودة الذهن و لطف القريحة بحيث يقع

---

(١) في الأصل : عن ، تصحيف.

(٢) في النسختين الآخرتين : و البرهان .

حدسهم في جميع المطالب على الحقّ و الصواب ، فإنّ النّفوس البشريّة تأخذ من النقصان في الترقّي إلى الكمال على التدريج مرتبة بعد أُخرى ، فإذا بلغت أقصى مراتب الكمال الممكن لنوع البشر صارت نفساً قدسيّة ، المعبّر[1] عنها في القرآن العزيز بقوله تعالى : ﴿يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ﴾[2] .

المقدّمة السادسة

في آنقسام أثر النّفس إلى الإدراك و التحريك

آعلم أنّ للنّفس الناطقة قوّتي إدراك و تحريك . أمّا الإدراك فهو تحصيل الصور المعقولة في القوّة العاقلة ، و آنتقاش النّفس بها بواسطة آنتزاع القوّة العاقلة للأُمور الكلّيّة من الأشياء الجزئيّة المحسوسة ، أو المتخيّلة ، و ذلك يستدعي آلتفات النّفس إلى جهة التعقّل ، و آنصرافها عن الموادّ الجسمانية .

و أمّا التحريك ، فلأنّ النّفس لمّا طلبت الاستكمال في المعقولات بواسطة الإحساس المستند إلى الحواسّ الجسمانيّة الحاصلة في البدن ، وجب أن يكون للنّفس تعلّق تامّ شديد بالبدن ، و آتّصال ما لها به ، و الاعتناء بتدبيره ، و تحريك الآلات الجزئيّة في الأُمور النّافعة للبدن ، إمّا لجلب[3] نفع ، أو دفع ضرر ، و لهذا وجب لكلّ ذي قوّة إدراك أن تكون له قوّة تحريك ، خصوصاً و البدن مركّب من الأُمور المتضادّة المتداعية إلى الانفكاك ، فلو لا الحافظ لها عن الانفكاك لبطل المزاج ، فالواجب إثبات هاتين القوّتين للنّفوس البشريّة ، و إذا[4] كان آلتفات النّفس إلى أحد الجانبين يشغلها عن الالتفات إلى الآخر لاجرم حصل التفاوت

---

(١) في «ش» و «ل» : يعبر .

(٢) سورة النور (٢٤) : ٣٥ .

(٣) في الأصل : بجلب .

(٤) في «ش» و «ل» : لمّا .

بين النّفوس البشريّة في الاعتناء بالأُمور المعقولة و الإدراكات المكمّلة للنّفس ، أو الاعتناء بالأُمور البدنيّة المشغلة لها[١] عن تلك الرتبة .

المقدّمة السابعة

في أختلاف النّفوس البشريّة في هاتين القوّتين

لمّا كانت النّفس مشغولة بهذين العملين[٢] بحيث لاتنفكّ عنهما و هما الإدراك للمعقولات و الالتفات إليها ، و التحريك للبدن إمّا بالقوى الباطنة ، كما في حال التغذية و التنمية و التوليد ، أو بالقوى الظاهرة ، كالإحساس بالمحسوسات الخمسة ، أو بالقوى الباطنة ، كالإحساس بالحس المشترك ، و التخيّل ، و التوهّم ، و الحفظ لهما ، و لا شكّ في أنّ أحد الشاغلين يمنع النّفس عن الاستكمال في الفعل الآخر ، إلاّ أصحاب النّفوس القويّة كأنفس الأنبياء و الأولياء آلّتي تكون نفس أحدهم رابطة الجاش[٣] لايمنعها أحد الشغلين عن الآخر ، بل يحصل لها كمال الإدراك حالة الاشتغال بكمال التحريك ، فإنّ مراتب القوى مختلفة غير منحصرة ، و كلّ من كان قادراً علي الاشتغال بهذين الفعلين على الوجه[٤] الأكمل كانت نفسه أشرف و مرتبته أعلى .

المقدّمة الثامنة

في حقيقة الزيادة في العلم

---

(١) في «ش» و «ل» : المشتغلة .	(٢) في الأصل : العلمين ، تصحيف .

(٣) رابط الجأش : أي شديد القلب كأنّه يربط نفسه عن الفرار و يكفّها بجرأته و شجاعته .

(٤) في الأصل : الأوجه .

قد عرفت أنّ العلم إمّا تصوّر و إمّا[1] تصديق، و كلّ واحد منهما إمّا ضروري و إمّا كسبي. فالضروري من التصوّرات ما لايتوقّف على طلب و كسب، كتصوّر الحرارة و البرودة و غيرهما. و الكسبي ما يتوقّف، كتصوّر الملَك و الجنّ و غيرهما.

و الضروري من التصديقات ما يكفي في حصوله تصوّر الطرفين. و الكسبي ما يفتقر معهما إلى وسط.

و العلم التصديقي يطلق بالحقيقة على الجامع لأُمور ثلاثة: الجزم، و المطابقة، و الثبات؛ و بالمجاز على مطلق الاعتقاد الشامل للعلم، و التقليد[2] و الجهل المركّب، و الظنّ.

و الزيادة في العلم بالمعنى الحقيقي إنّما تتحقّق باعتبار المتعلّقات، أمّا بمعنى التعلّقات فلا، لأنّ الزيادة إنّما تتحقّق مع تحقّق التفاوت، و لايتحقّق التفاوت في الأطراف، لأنّ طرف الشيء نهايته، و النهاية لاتقبل القسمة، و إلاّ لكان الآخر[3] من القسمين هو الطرف، لا الأوّل، و إنّما يتحقّق في الأوساط لتعدّد المراتب فيها.

نعم قد يمكن بوجه من الاعتبار حصول الزيادة فيها باعتبار الخفاء و الجلاء في التصوّرات آلّتي تضمّنتها التصديقات، و لكن ذلك في الحقيقة راجع إلى زيادة المتعلّقات، لأنّ التصوّرات متعلّقة بالمتصوّرات، فزيادتها و نقصانها ممكن لقبولها الشدّة و الضعف؛ فالتصوّر بالحدّ الحقيقي أشدّ (من التصوّر بالحدّ الناقص، و التصوّر بالحدّ الناقص أشدّ)[4] من التصوّر بالرسوم، و التصوّرات

---

(١) في «ش» و «ل»: أو.

(٢) في الأصل: التقييد، تصحيف.

(٣) في «ش» و «ل»: الأخير.

(٤) ما بين القوسين سقط من الأصل.

بالرسوم متفاوتة باعتبار ظهور اللزوم و الاختصاص في الأوصاف المعرفة ، و عدمه .

المقدّمة التاسعة

في إمكان سؤال الزيادة

إنّ المعارف العقليّة لمّا كانت غير متناهية ، و كانت القوّة البشريّة قاصرة عن إدراكها و وجب التناهي في مدركاتها ـ قال الله تعالى :﴿وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً﴾[1] ـ و أنّ كلّ مرتبة من المراتب المفروضة أقلّ ممّا لايتناهى تكون متناهية ، و أنّه يمكن اتّصاف النّفس بها ، أمكن طلب الزيادة .

المقدّمة العاشرة

قد ظهر ممّا تقدّم أنّ المانع من التعقّل هو المادّة لا غير ، و لمّا كان نور التعقّل[2] ممنوعاً بالمادّة كان نسبة المادّة إليه نسبة الغطاء الظلماني الساتر لنور الأجسام المضيئة بحيث لايدرك تنوّرها[3] و لايحسّ بها . فلهذا الستر شبّه مفارقة النّفس للبدن الّذي هو المادّة الجسمانية المانعة عن التعقّل بالكشف للغطاء .

و إذا تقرّرت هذه المقدّمات فنقول : ظهر الجمع بين كلام النبي و كلام الوصي عليهما أفضل الصلوات[4] و كان لكلّ منهما أن يقول مقال الآخر ، إذ لا تنافي بينهما ، فإنّ نفس النبي ﷺ أكمل من نفس الوصي عليه السلام و لمّا كانت نفس

---

(١) سورة الأنبياء (٢١) : ٢٢.

(٢) في «ل» : العقل ، في «ش» : التصوّر .

(٣) في «ل» : نورها .

(٤) في «ل» زيادة : و أكمل التحيّات .

الوصي عليه السلام قادرة على الجمع بين قوّتي الإدراك و التحريك كان نفس النبي صلى الله عليه وآله أولى بذلك و لم تحصل له زيادة يقين على ما أدركه حالة المفارقة[١] في الأُمور الّتي تعلّق بها اليقين ، و لمّا كان علم النبي صلى الله عليه وآله قليلاً بالنسبة إلى علم الباري تعالى و تقدّس ، و كان له أن يقول : ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ كان أميرالمؤمنين عليه السلام أولى بهذه المقالة ، لأنّ علمه أقلّ من علم النبي صلى الله عليه وآله إذ مادّته منه ، و آستناد علمه إليه .

و في التفسير[٢] : إنّ قوله تعالى : ﴿وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[٣] أي بالقرآن ، لأنّه كان ينزل عليه شيئاً فشيئاً .



---

(١) في الأصل : المقاومة .

(٢) مجمع البيان ٤ : ٣٢ .

(٣) سورة طه (٢٠) ١١٤ .

المسألة الثانية

في وجه الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾[1] و قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2] و بين قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لَا جَانٌّ﴾[3].

و وجه الجمع من وجوه:

الأوّل:

إنّ التناقض يشترط فيه أُمور ثمانية: وحدة الموضوع، و المحمول، و الزمان، و المكان، و الشرط، و الإضافة، و القوّة أو الفعل، و الكلّ أو الجزء، و غير معلوم وجود هذه الشرائط في الآيتين الأُولتين، و في الثالثة، و غير مستبعد آختلاف الأزمنة هنا، فجاز أن يكون زمان إثبات السؤال غير زمان نفيه.

الثاني:

---

(١) سورة الصافات (٣٧): ٢٤. (٢) سورة الحجر (١٥): ٩٢.

(٣) سورة الرحمن (٥٥): ٣٩.

إنّ المحمولات هنا[١] متعلّقة بالأمور الخارجة ، فإنّ السؤال لابدّ له من مسئول و مسئول عنه .

و قد ورد من عدّة طرق أنّ الآية الأُولى تتعلّق بالمسئول عنه، و هو ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

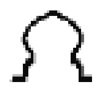
الثالث :

ورد في التفسير أنّ قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لَا جَانٌّ﴾[٢] معنى سؤال آستفهام ، بل سؤال توبيخ و تعنيف ، و حينئذ يبطل التنافي .

الرابع :

جاز أن يكون المسؤول في الآيتين الأوّلتين غير المسؤول في الآية الثالثة و يؤيّده قوله تعالى : ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾[٣] أي بعلامات لهم ، و يكون ذلك إشارة إلى أصناف معيّنين[٤] من الكفّار .

و الحمد لله وحده و صلّى الله على سيّد المرسلين
محمّد و آله الطاهرين
و سلّم تسليما



(١) لايوجد في الأصل : هنا .
(٢) سورة الرحمن (٥٥) : ٣٩ .
(٣) سورة الرحمن (٥٥) : ٤١ .
(٤) في «ل» : أصناف معشر .

[المسألة الثالثة]

أمّا بعد حمد من تقدّس بوجوب وجوده عن مشاركة الممكنات ، و تنزّه بقدمه و أزليّته عن مشابهة المخلوقات ، و الصلاة و السلام على أشرف الأنام محمد المصطفى ، و عترته البررة الكرام .

فإنّني لمّا حضرت بين يدي المخدوم الأعظم ، الصاحب الكبير المعظّم ، مولى النعم و مفيض الجود و الكرم ، مخدوم وزراء الممالك شرقاً و غرباً ، و بعداً و قرباً ، المخصوص بالنفس القدسيّة ، المتميّز عن بني نوعه بالرئاسة الإنسيّة ، الحائز لكمالات النّفس ، الفائز بالسّهم العلى من حضيرة القدس ، ربّانيّ الزّمان ، و أوحد الأقران ، فريد عصره ، و وحيد دهره ، المترقّي بنظره الثاقب إلى ذروة العلى ، و المتعالي بفكره الصائب إلى أوج المجد و السّنا ، مربّي العلماء ، و مقتدى الفضلاء «رشيد الملّة و الحقّ و الدّين» أعزّ الله بدوام دولته الإسلام و المسلمين ، و أمدّه بالسعادات الأبديّة ، و أيّده بالعنايات الربّانيّة .

فوجدته بحراً زاخراً تتلاطم أمواجه ، و تياراً فائضاً لايدرك فجاجه ، قد

أحاط بالقوّة الإلهيّة على جميع ما حصّله الحكماء ، و أشرف بالعناية الأزليّة على دقائق أنظار العلماء ، تتفجّر ينابيع الحكمة على لسانه ، و تنطبع صور المعقولات كما هي في قلبه ، و جنانه موهبة من الله تعالى لديه ، و إنعاماً منه فائضاً عليه .

فجرى في بعض مجالسه سؤال من بعض الفضلاء على قوله تعالى : ﴿وَ لَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ﴾[1] .

فقال : هاتان مقدّمتان متّصلتان آشتركتا في حدّ أوسط على هيئة الشّكل الأوّل ، جامعتان لشرائط الإنتاج ، و هما صادقتان ، فيجب صدق النّتيجة ، و إنّما يتمّ صدقها لو لم يكن بين تاليها و مقدّمها تناف ، لكنّ التالي هنا لا يجامع المقدّم ، لأنّ النتيجة حينئذ هي : و لو علم الله فيهم خيراً لتولّوا و هم معرضون ، و العلم مطابق للمعلوم ، و لا فرق بين وضع العلم و وضع المعلوم ، فالمقدّم يتضمّن ثبوت الخير و تحقّقه ، فيكون فرض علم الخير بتضمّن فرض الخير ، و لا يمكن أن يكون فرض الخير و وجوده ملزوماً لتولّيهم معرضين .

فأجاب خواجه رشيد الدّين عزّت أنصاره بوجوه :

الأوّل :

المنع من آتّحاد الوسط ، لأنّ التالي أُخذ في الصغرى على تقدير وضع المقدّم و هو ثبوت الاستماع على تقدير علم الخير ، و المقدّم أُخذ في الكبرى على تقدير ثبوته في نفس الأمر ، لا على تقدير فرض علم الخير و وضعه ، فيصير تقدير القياس : و لو علم الله فيهم لأسمعهم على تقدير العلم بثبوت الخير

---

(١) سورة الأنفال (٨) : ٢٣ .

فيهم و تحقّحه ، و لو أسمعهم في نفس الأمر ، لا على تقدير علم الخير فيهم لتولّوا و هم معرضون ، و التقدير أنّهم غير مؤمنين في نفس الأمر ، فيكون الاستماع في نفس الأمر مجامعاً لعدم الخير فيهم ، الملزوم لعلم عدم الخير ، لأنّه تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه ، و حينئذٍ يظهر عدم اتّحاد الوسط بين المقدّمتين .

الثاني :

المنع من حصول شرائط القياسيّة هنا ، لأنّ هذا القياس من الشكل الأوّل ، و شرطه[1] كلّية الكبرى ، و هذا الشرط منتف هنا ، لأنّ «لَوْ» يدلّ على مطلق الاتّصال مع الدّلالة على عدم المقدّم ، و لايدلّ على حصر القضيّة ، و لا على كلّيتها و جزئيّتها ، و إذا لم يكن هنا دليل على كلّيّة المتّصلة كانت مهملة ، و هي في قوّة الجزئيّة ، و إذا كانت الكبرى جزئيّة لم يحصل الإنتاج لفوات شرطه ؛ و لأنّ الكبرى دلّت على الملازمة بين إسماعهم و تولّيهم ، و لايجوز أن تثبت هذه الملازمة على تقدير مقدّم الصغرى الّذي هو ملزوم لتاليها ، لأنّ فرض مقدّم الصغرى و هو علم الخير ، فرض لثبوت الخير ، فإنّ العلم تابع للمعلوم ، و إنّما يتحقّق التابع بعد تحقّق المتبوع ، و على تقدير ثبوت الخير و تحقّقه لايكون الاستماع الثابت على تقديره ملزوماً لتولّيهم ، لأنّه عدم الخير ، و إذا لم تثبت الملازمة على تقدير مقدّم الصغرى كانت جزئيّة ، فلايكون شرط الإنتاج حاصلاً .

الثالث :

---

(١) في النسخة : شرطية .

المنع من كيف النتيجة ، فإنّ الاتّصال يصدق و إن كان المقدّم و التالي محالين ، لما ثبت من جواز آستلزام المحال للمحال ، لقوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [1] فإنّ المقدّم و هو ثبوت آلهة غير الله محال ، و كذا فسادهما محال أيضاً ، مع ثبوت التلازم بينهما ، فجاز صدق النتيجة و هي : و لو علم الله فيهم خيراً لتولّوا و هم معرضون ، فإنّ المقدّم هنا محال ، لأنّ العلم مطابق للمعلوم ، و علم الخير ممّن لا خير فيه محال ، فجاز أن يستلزم المحال ، فهذا خلاصة ما قاله أدام الله ظلاله ، و بلغه في الدّارين آماله ، و ضمّ بالصالحات أعماله .

و الحمد لله ربّ العالمين ، و صلّى الله على سيّد المرسلين
محمّد النّبي و آله الطيّبين الطّاهرين و سلّم
تسليماً ، و لا حول و لا قوّة
إلاّ بالله

بلغ عرضاً و قبالاً بنسخة الأصل آلّتي بخط المصنّف دام ظلّه ، فصحّ إلاّ ما زاغ عنه النّظر و حسر عنه البصر ، و كتبي في شوّال سنة أثني عشرة و سبع مائة . كذا في المنتسخ . ابن محمد إبراهيم، خليل الله الحسيني شهر شوّال سنة ١٠٧٧ .



(١) سورة الأنبياء (٢١) : ٢٢ .

فهرس الآيات الشريفة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس الأعلام و الطوائف

فهرس العناوين و المواضيع

كتاب الفرق بين كلام النبي و قول الوصي